الدعم الإيراني للإرهاب في الشرق الأوسط

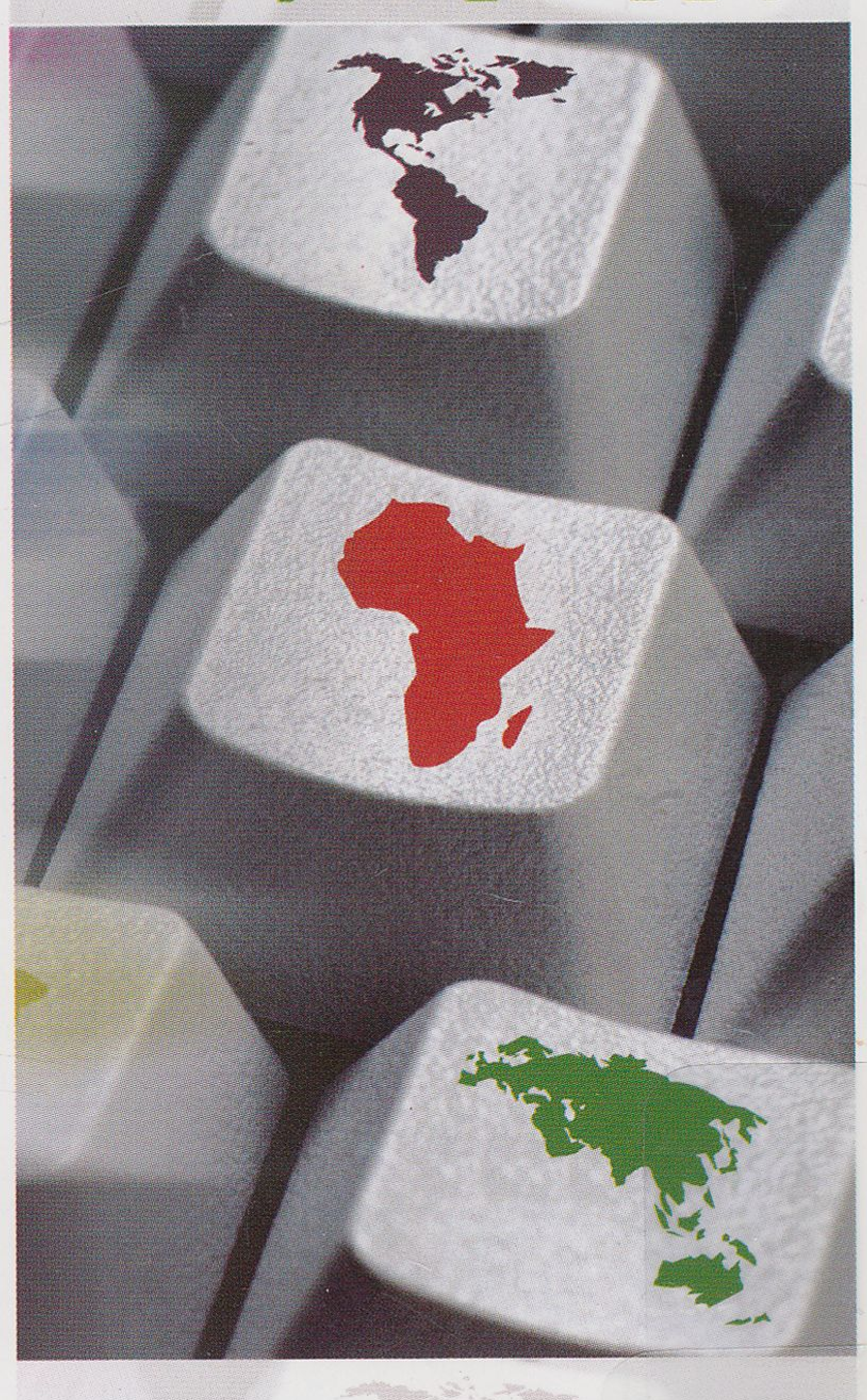
معهد بروكينجز

تعليق
يسري العزباوي



ترجمات

عرض وتحليل الفكر العالمى



www.icfsthinktank.org

إهداء ٢٠١٢

المركز الدولى للدراسات المستقبلية و الاستراتيجية

جمهورية مصر العربية

إهداء ٢٠١٢

المركز الدولى للدراسات المستقبلية و الاستراتيجية

جمهورية مصر العربية



ترجمات

عرض وتحليل الفكر العالمي

سلسلة شهرية تهدف إلي نشر الفكر العالمي فيما يتعلق بالقضايا والتطورات المؤثرة على مصر أو المنطقة والكيفية التى يري بها العالم قضايانا، وتنشر مع مقدمة تحليلية ، وتعليق بشأن الموضوع الذى تتناوله.

المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية مؤسسة بحثية مستقلة غير هادفة للربح - (مركز تفكير) - تأسس عام ٢٠٠٤ للدراسة القضايا ذات الطابع الاستراتيجي والتى تتصل بالمتغيرات العالمية وإنعكاساتها المحلية والإقليمية .

الدعم الإيراني للإرهاب في الشرق الأوسط

معهد بروكينجز

تعليق
يسري العزباوي

التقديـم

تشهد منطقة الشرق الأوسط العديد من المتغيرات في الآونة الأخيرة، ولعل أهمها تصاعد النفوذ والدور الإيراني في المنطقة. وفي اطار سعي إيران لتطوير برنامجها النووي وإعلانها المستمر عن سعيها لإنتاج سلاح نووي ومن ثم التأثير سلباً على الإستقرار الأمني والسياسي في منطقة الشرق الأوسط. وفي ظل تصاعد النفوذ الإيراني في المنطقة من خلال التدخل في الشئون الداخلية لبعض الدول فإن هناك الكثير من التحليلات السياسية التي تصف هذا الدور بأن إيران تدعم الجماعات الإرهابية المتطرفة ومن ثم مساعدتها على مزاولة أنشطتها الإرهابية عبر تقديم السلاح والمال لها، هذا في نفس الوقت الذي يتم فيه الربط بين إيران وتنظيم القاعدة.

ومن ناحية أخرى، يأتي الحديث عن التحالف الإستراتيجي بين إيران وسوريا من جهة، وحزب الله وحركة حماس من جهة أخرى. وكذلك الدعم الإيراني للنظام السوري الحالي، وتقديم المساعدات العسكرية لعدد من التنظيمات والجماعات الإرهابية في المنطقة. كل هذه المؤشرات تصب في اتجاه تأكيد الدعم الإيراني للجماعات الإرهابية في المنطقة. وفي هذا الاطار، تأتي هذه الدارسة التي أعدها معهد بروكينجز ويعلق عليها د. يسري العزباوي الباحث المتخصص بمركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية.

أسرة التحرير

أكتوبر ٢٠١٢

المقدمة

(التقرير عبارة شهادة أعدها دانييل بيمان وألقاها أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي)

تعتبر إيران منذ فترة طويلة أحد أهم وأخطر رعاة الإرهاب في العالم. ورغم أن دوافع الجمهورية الإسلامية لدعم الإرهاب قد تنوعت مع مرور السنين، فإن قادتها اعتبروا بشكل ثابت أن الصلات بسلسلة واسعة من الجماعات الإرهابية وتوفير الدعم لها بمثابة أداة هامة من أدوات القوة الوطنية. وما يثير الإزعاج أن دعم إيران للإرهاب قد أصبح أكثر جرأة في السنوات الأخيرة، وبات يحركه مزيج من الخوف والإنتهازية. وقد تصبح إيران أكثر جرأة في السنوات القادمة في استخدام الإرهابيين للتنفيس عن غضبها أو للانتقام، مستغلة الحماية المحسوسة التي سوف تكتسبها إذا طورت سلاحا نوويا، أو إذا تم إحباطها بالقوة العسكرية أو وسائل أخرى. لكن في ظل الظروف الراهنة، سيظل من غير المرجح أن تنفذ إيران الأشكال الأكثر تطرفا للإرهاب، على غرار هجمات الحادي عشر من سبتمبر أو في شكل ضربة بأسلحة كيماوية أو بيولوجية أو نووية.

ويجب على الولايات المتحدة العمل مع حلفائها لمواصلة حملة استخبارية نشطة وتوسيع هذه الحملة من أجل إحباط إيران والمنظمات الإرهابية التابعة لها. وكانت الولايات المتحدة، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، قد انخرطت في حملة شاملة ضد القاعدة: وهناك حاجة لتبني نهجا عالميا مماثلا لمكافحة الإرهاب الذي تسانده إيران. لكن في الوقت الذي تمارس فيه الولايات المتحدة بالفعل ضغطا على طهران عن طريق العقوبات والعزلة الدبلوماسية بسبب برنامج إيران النووي، لا يوجد سوى أسهم قليلة في جعبة أمريكا وبالتالي فإن الولايات المتحدة ستجد من الصعب فرض ضغطا إضافيا على إيران بسبب الإرهاب.

دوافع إيران لدعم الإرهاب

منذ الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ التي أطاحت بحكومة الشاه، عمل رجال الدين الذين يقودون إيران مع سلسلة واسعة من الجماعات الإرهابية لتشجيع المصالح الإيرانية. وبعد ثلاثين عاما، استمر هذا الاستخدام للإرهاب وظل أداة هامة للسياسة الخارجية الإيرانية في مواجهتها مع جيرانها ومع الولايات المتحدة. وفي شهادته عام ٢٠١٢، حذر جميس كلابر مدير المخابرات القومية من أن إيران مازالت "تتآمر ضد المصالح الأمريكية ومصالح الحلفاء في الخارج ."

إن أهم وأشهر علاقة لإيران هي مع حزب الله اللبناني. فقد ساعدت إيران حزب الله وقدمت له السلاح والتدريب والتمويل بما يصل إلي نحو ١٠٠ مليون دولار في العام – وربما أكثر بكثير، اعتمادا على العام ومنهجية اعتماد التقدير. ولم تشمل المساعدات العسكرية التي قدمتها إيران لحزب الله أسلحة خفيفة وأسلحة أخرى مستخدمة في العمليات الإرهابية فقط، بل شملت أيضا صواريخ موجهة مضادة للصواريخ، وصواريخ كروز مضادة للسفن، وآلاف من الصواريخ ونظم المدفعية، مما جعل حزب الله أحد أقوى الجماعات من شبه الدول في العالم. ويقوم أفراد إيرانيون وعناصر من حزب الله بعمليات مشتركة معا .

ورغم أن حزب الله ظل لفترة طويلة خادما لإيران، فإن العلاقة بينهما تطورت تدريجيا. وأصبح حزب الله، بشكل متزايد، شريكا لإيران – فقد اكتسب أمين عام حزب الله حسن نصر الله مكانة هائلة في العالم العربي، وحظيت المقاومة العسكرية التي يقوم بها حزب الله ضد إسرائيل بإعجاب واسع. ويتخذ حزب الله قراراته الخاصة وفق مصالحه الخاصة.

ورغم الندية المتزايدة في العلاقة، مازالت إيران تعمل عن كثب مع قادة حزب الله، كما يتم بإحكام دمج العناصر الاستخبارية وشبه العسكرية الإيرانية في جهاز الأمن الخارجي لحزب الله. ويعتبر المسئولون في حزب الله حزبهم حليفا لإيران، وقد وفر دعم طهران المالي والعسكري الضخم لحزب الله نفوذا ضخما لإيران على أصدقائها في حزب الله.

لكن إيران ساندت أيضا سلسلة واسعة من الجماعات الأخرى. ففي العراق عملت إيران مع سلسلة واسعة من الفصائل الشيعية. كذلك امتلكت إيران روابط مع جماعات سنية منها منظمات كردية عراقية، ومنظمة الجهاد الإسلامي الفلسطينية، وحماس. وربما الأكثر لافتا للنظر هو أن إيران بالأحرى تحالفت خلال فترات مع تنظيم القاعدة وحركة طالبان حتى رغم أن هاتين الجماعتين تعاديان بشكل عنيف الشيعة وتنظران إلي قادة إيران على أنهم مرتدين.

وأحد الدوافع لمساندة عدد من هذه الجماعات كان ومازال دافعا أيديولوجيا. فعند إنشاء الجمهورية الإسلامية، لم يخف قادة إيران رغبتهم في نشر الثورة الإيرانية في أنحاء العالم الإسلامي. فقد أعلن المرشد الأعلي لإيران والمُنَظر المُؤسس للدولة أية الله روح الله الخميني، أن إيران "يجب أن تحاول بجدية تصدير ثورتنا إلي العالم." ويتم إدراج هدف الخميني ضمن دستور إيران والوثائق الدستورية لمنظمات هامة مثل الحرس الثوري الإيراني.

ولهذه الغاية، عملت إيران مع مجموعة متنوعة من الجماعات الشيعية، وبأكبر قدر من النجاح مع حزب الله اللبناني، لكنها عملت أيضا مع متشددين شيعة في العراق، والبحرين، وباكستان، وأفغانستان وأماكن أخرى، حيث نظمت هذه الجماعات ضد جماعات مناوئة، وغالبا ضد حكومات البلدان التي تقيم فيها تلك الجماعات. وقد فعلت إيران ذلك جزئيا بسبب أنها أرادت نشر أيديولوجيتها الثورية، ووجدت بعض المشايعين بين الجماعات الشيعية التي تعاني من المشاكل والقهر في أنحاء العالم العربي، وخاصة في السنوات التي تلت مباشرة الثورة عندما كان أية الله الخميني قادرا على تحفيز العديد من الجاليات الشيعية لمساندة قيادته، أو على الأقل للإعجاب بنظامه الجديد.

وبعد هدوء الحماسة الثورية الإيرانية، استخدمت طهران بشكل متزايد الإرهابيين لمجموعة من الأهداف الإستراتيجية. ويشمل هؤلاء جماعات إرهابية غير شيعية لا تتعاطف إيران معها أيديولوجيا. بالإضافة إلي أن إيران استخدمت حتى

أقرب حلفائها الإرهابيين، مثل حزب الله اللبناني، لأهداف إستراتيجية. وتشمل هذه الأهداف:

- ***تقويض ونزف الخصوم.*** لقد استخدمت إيران بانتظام الجماعات الإرهابية لإضعاف الحكومات التي تعارضها، وكان من بين هؤلاء أعداءا لدودين مثل العراق في عهد صدام حسين وكذلك أعداء أقل وطأة مثل حكام الكويت والسعودية. كذلك تساند إيران سلسلة واسعة من الجماعات المتمردة التي تستخدم الإرهاب في أماكن مثل العراق وأفغانستان. وقد تعزز هذه الجماعات مصالح إيران في دول هامة، أو على أقل تقدير، تقوم بتقويض موقف خصومها.
- ***نشر القوة والقيام بدور المفسد.*** إن لإيران جيشا ضعيفا ونفوذا إقليميا محدودا. وكانت جاذبيتها العقائدية في ذروة قوتها الثورية محدودة، والآن هي لا تُذكر. ومع ذلك، يرى النظام الإيراني نفسه باعتباره قوة إقليمية وبالأحرى عالمية، وتعاون النظام الإيراني مع الإرهابيين هو وسيلة من جانب إيران للتأثير على أحداث تجري على مسافة بعيدة من حدودها، فتأييد إيران لحزب الله اللبناني، وحركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية ، وحماس يجعل إيران لاعبا في النزاعين الإسرائيلي _ الفلسطيني والعربي _ الإسرائيلي. وهذا بدوره يعطي إيران مكانة ونفوذا في الشرق الأوسط الأوسع. وقد دعمت إيران جماعات أدت هجماتها إلي تخريب مفاوضات السلام الإسرائيلية _ الفلسطينية والإسرائيلية _ السورية _ وهذا يمثل انتصارا لإيران، التي ترى أن هذه المفاوضات خيانة للقضية الفلسطينية ووسيلة لعزل النظام الإيراني. كذلك قامت طهران بعمليات اغتيال متكررة لمعارضين للنظام يقيمون في المنفي في أوروبا أو في مناطق أخرى من المفترض أنها آمنة، باستخدام عملائها وعملاء تابعين لحلفائها الإرهابيين مثل حزب الله.
- ***كسب نفوذ في دوائر المعارضة.*** بالنسبة لإيران المهم عادة ليس فقط أن يخسر نظام معادي السلطة أو أن يتم إضعافه، بل أن تزداد قوة حلقات معنية داخل معارضة ما. ولذا في لبنان، قوضت إيران حركة أمل، وهي ميليشيا شيعية، لأنها لم تتفق مع أيديولوجية ومصالح إيران. وساعدت إيران على تأسيس حزب الله ليحل

محل حركة أمل – وهذه مقامرة خطرة قد تحقق النجاح لكنها من السهل أن تحقق نتائج سلبية لإيران. وعموما استخدمت إيران الأسلحة والتدريب والمال وأشكال دعم أخرى لمحاولة توحيد حلفاء متشددين محتملين وتحسين موقفها بين المعارضة.

• *الردع*. بإمتلاك القدرة على العمل مع الإرهابيين وبالقيام بعمليات تخريبية داخل الدول المعادية لها، تستطيع إيران الضغط على هذه الدول لكي تنأي بنفسها عن الولايات المتحدة أو أن تمتنع عن الجهود الاقتصادية أو العسكرية المشتركة للضغط على إيران. لكن عادة ما تؤدي مثل هذه الجهود إلي نتائج معاكسة: لأن هذه الدول تعتبر أن إيران تتدخل في شئونها الداخلية وتدعم أعمال العنف في تلك الدول، وبالتالي عادة ما يصبح لدى هذه الدول رغبة أكبر، وليست أقل، في تأييد الضغط الاقتصادي أو حتى العسكري الموجه ضد طهران.

• ***الاحتفاظ بخيارات***. إيران، كدولة ضعيفة – لا تملك قدرة على الإجبار عن طريق الضغط العسكري أو الاقتصادي – في منطقة معادية، تسعى أيضا للسعي إلي الحفاظ على خياراتها مفتوحة. ويدرك قادة إيران أن في العراق، وأفغانستان، ودول أخرى مضطربة، فإن الذين يتولون السلطة اليوم قد يصبحوا خارجها غدا والعكس صحيح. بالإضافة إلي ذلك، قد يريد قادة إيران إقامة علاقات ودية مع دولة جارة في الوقت الراهن لكنها تدرك أن الظروف قد تتغير في المستقبل. وبالتالي تخطب إيرن ود وتدعم سلسلة من جماعات العنف حتى برغم أنها لا تسعى إلي استغلال قدرات تلك الجماعات في ظل الظروف الراهنة. فهذه الجماعات يمكن استخدامها إذا رغبت إيران في تصعيد ضغط ضد عدو أو معاقبته.

ولأن منطق إيران إستراتيجيا أكثر من كونه عقائديا غالبا، فإن طهران ترغب في العمل مع أعداء لدودين، رغم أن عدم الثقة المتبادلة تحد من توثيق أي علاقة. ولذا رغم أن العديد من أنصار القاعدة يمقتون إيران، وبعضا منهم قتل شيعة في العراق، وباكستان، وأفغانستان، وأماكن أخرى، فإن إيران تعاونت مع القاعدة، حيث سمحت في بعض الأحيان لعملائها بالمرور عبر إيران بدون تدخل. كذلك وفرت طهران لبعض كوادر القاعدة ملاذا آمنا محدودا، وإن كانت في بعض الأحيان تقيد

تحركاتهم وسلمت حتى بعضهم إلي الحكومات في أوطانهم لسجنهم. وباستخدام منطق مماثل، تعاونت طهران في بعض الأحيان مع طالبان، التي دخلت تقريبا في حرب مع إيران عام ١٩٩٨، بسبب الأعداء المشتركين بينهما ومن أجل الحفاظ على خيارات إيران.

ومن خلال العمل مع جماعات إرهابية مثل حزب الله أو باستخدام عملائها الخاصين بطريقة سرية، استطاعت إيران أن تتنصل من الهجمات وبالتالي التهرب من المسئولية. وحتى في قضايا مثل تفجير أبراج الخبر عام ١٩٩٦ في السعودية، حيث ثبت في نهاية المطاف مسئولية إيران، فإن الوقت الذي استغرقه إثبات تورط إيران قد جعل من من الصعب للغاية كسب دعم سياسي ودبلوماسي لانتقام قوي من إيران. ولذا فإن القدرة على التنصل تجعل الإرهاب خيارا جذابا أيضا، حيث يسمح لإيران بالضرب وفي الوقت نفسه تتجنب عواقب اعتداء صريح. ولهذا من غير المرجح أن تستخدم إيران ألغاما وصواريخ كروز مضادة للسفن لمحاولة إغلاق مضيق هرمز، لكنها بدلا من ذلك ستستخدم هجمات إرهابية يكون من الصعب تتبع صلة إيران المباشرة بها.

ورغم أنه يكون من المغري دائما إرجاع جميع أشكال السلوك الإيراني لدوافع إستراتيجية، فإن قادة إيران استخدموا الإرهاب في بعض الأحيان للانتقام من خصومهم. فقد نفذت إيران هجمات في فرنسا ودول الخليج في الثمانينات، على سبيل المثال، بسبب دعم هذه الدول لبغداد خلال الحرب العراقية – الإيرانية. وبالمثل، فإن بعض الهجمات الإيرانية ضد أهداف إسرائيلية ربما كان الدافع إليها جزئيا اعتقاد إيران بأن إسرائيل تقف وراء قتل علماء نوويين إيرانيين – وقد تكون تصرفات إيران تتعلق بالانتقام بنفس قدر تعلقها بأي ردع محتمل. وكان حزب الله، الحليف الوثيق لإيران، قد توعد أيضا بالانتقام لمقتل عماد مغنية قائد جناح عمليات الحزب في دمشق عام ٢٠٠٨، الذي يُعتقد أنه قُتل على أيدي الإسرائيليين.

كيف ولماذا تتغير إيران

أبدت إيران بنشاط سلسلة من الجماعات الإرهابية في الثمانينات، وخاصة حزب الله اللبناني . ومنذ التسعينات، ناصرت إيران أيضا جماعات فلسطينية مثل منظمة الجهاد الإسلامي الفلسطينية وحماس، حيث دعمت جهود هذه الجماعات لتنفيذ هجمات في إسرائيل وفي الأراضي الفلسطينية. وعملت طهران أيضا مع مجموعات متمردة معادية للولايات المتحدة في أفغانستان والعراق. لكن فيما يتعلق بدعم الإرهاب خارج هذه المسارح، كان آخر هجوم معادي للولايات المتحدة تم بترتيب إيراني هو تفجير أبراج الخبر عام ١٩٩٦، الذي أدى إلي مقتل ١٩ أمريكيا. لكن طهران قد أظهرت اهتماما متجددا بالإرهاب خارج مسرح إسرائيل / لبنان/ فلسطين أو مناطق الحرب مثل العراق وأفغانستان في العام الماضي. وكانت إسرائيل محط اهتمام خاص، لكن فيما يبدو ظهرت السعودية والولايات المتحدة تحت بصر إيران أيضا.

- في ١٨ يوليو، ٢٠١٢، فجر انتحاري نفسه على متن حافلة تقل سائحين إسرائيليين في بلغاريا، مما أدى إلي مقتل خمسة إسرائيليين، وسائق الحافلة، والانتحاري نفسه وإصابة ثلاثين آخرين. وحمل المسئولون الإسرائيليون إيران المسئولية، رغم أن التحقيقات لتحديد الجهة التي تقف وراء الحادث مازالت جارية.
- بعد أيام من حادث بلغاريا، تم اعتقال أحد كوادر حزب الله اللبناني في قبرص، حيث كان يُعتقد أنه يخطط لهجمات على أهداف إسرائيلية.
- في عام ٢٠١٢، تم إحباط مؤمرات لها صلة بإيران ضد أهداف إسرائيلية في تايلاند وجورجيا وأذربيجان.
- في عام ٢٠١٢، نفذت إيران تفجيرات في الهند وجورجيا. ففي نيودلهي، أدى إنفجار إلي إصابة زوجة مبعوث وزارة الدفاع الإسرائيلية وركاب آخرين في سيارتها.
- اعتلقت السلطات الكينية رجلين إيرانيين يُعتقد أنهما ينتميان إلي الحرس الثوري الإيراني في يونيو ٢٠١٢. واعترف الشخصان بأنهما كانا يخططان لشن

هجمات. وشملت الأهداف المحتملة أفراد ومنشآت أمريكية وإسرائيلية وسعودية وبريطانية.

- في أكتوبر ٢٠١١ أحبطت الولايات المتحدة مؤامرة لقتل السفير السعودي في واشنطن عن طريق تفجير المطعم الذي اعتاد على تناول الغذاء فيه. وحسب المسئولين الأمريكيين، فإن محاولة التفجير قد خططت لها إيران. ولو انفجرت القنبلة كما هو مقرر، لكانت قد قتلت عدد من المواطنين الأمريكيين خلال تناولهم الطعام في المطعم.
- زعم مسئولون أمنيون أمريكيون أنه خلال العامين الماضيين خططت إيران وحزب الله لهجمات في أكثر من عشرين دولة.

ويشير الإيقاع النشط للهجمات ضد إسرائيل، إذا ما وضع مع المؤامرة ضد السفير السعودي في واشنطن، إلي أن استخدام إيران للإرهاب قد أصبح أكثر جرأة. وفي الماضي، لم تضرب الجماعات التي تساندها إيران مثل حزب الله أهدافا داخل الولايات المتحدة، حيث اعتبرت أن الولايات المتحدة مكانا لجمع الأموال والحصول على الأجهزة المتخصصة القيمة، مثل نظارات الرؤية الليلية. لكن الآن، يبدو أن إيران ترغب في المخاطرة بهذا المنفذ وإثارة غضب الولايات المتحدة. ورأي مدير المخابرات القومية أن "مؤامرة عام ٢٠١١ لاغتيال السفير السعودي لدى الولايات المتحدة تدل على أن بعض المسئولين الإيرانيين – ربما بما فيهم المرشد الأعلي علي خامنئي – قد غيروا حساباتهم وأصبحوا الآن أكثر رغبة لشن هجوم داخل الولايات المتحدة ردا على تصرفات أمريكية حقيقية أو متصورة تهدد النظام.

وهناك مزيج من الخوف والانتهازية يحرك إيران. وكما حدث لدول أخرى في الشرق الأوسط، فقد هز الربيع العربي إيران. وفي البداية، حاولت طهران تصوير الثورة باعتبارها انتصارا للقوى الإسلامية والمعادية للولايات المتحدة، نظرا لأن حلفاء هامين للولايات المتحدة مثل مبارك قد سقطوا خلال الاضطرابات. لكن الحركات الجديدة لم تظهر تعاطفا تجاه طهران وإن كان بعض القادة الجدد يريدون تطبيع العلاقات مع إيران بدرجة أكبر. وفي الواقع، فإن بعض الحركات الإسلامية

التي بصدد الصعود إلي السلطة تعارض بشكل استثنائي لشكل الحكم الإسلامي الذي تطبقه إيران.

لكن الأكثر أهمية بالنسبة لإيران هو الأزمة في سوريا، حيث تم ببطئ دفع نظام بشار الأسد إلي الجدار، فلإيران حلفاء قليلين في العالم العربي، وفي الواقع في العالم عموما، لكن سوريا هي صديق حقيقي لإيران. وخسارة سوريا ستكون ضربة قوية لإيران، حيث ستقلص قدرتها على التوسط في لبنان وفي الساحتين الإسرائيلية – العربية والإسرائيلية – الفلسطينية. ومن وجهة نظر إيران، فإن الحملة ضد سوريا هي جزء أيضا من الحملة الأوسع لإضعاف إيران. وقد أدلى مسئولون إيرانيون ومن حزب الله بتصريحات متكررة تحمل الولايات المتحدة وإسرائيل مسئولية الاضطرابات في سوريا، وإن كان من غير الواضح إلي أي مدي هم أنفسهم يصدقون خطابهم البلاغي ذاته.

كذلك تغيرت السياسة الفلسطينية بشكل ملحوظ وللأسوأ من وجهة نظر طهران. فبعد تأسيس حماس عام ١٩٨٧، كانت العلاقة بين إيران وحماس تتسم بالكياسة لكنها محدودة. وتلقت حماس أموالا وأسحلة وتدريبا من إيران وحزب الله، لكن حافظت حماس على مسافة بينها وبين إيران، وكان قادتها مصممون على تجنب الاعتماد على رعاة أجانب كانوا دائما سبب إخفاق منظمات فلسطينية أخرى. وأصبحت العلاقات أقوى بكثير عندما استولت حماس على السلطة في غزة عام ٢٠٠٧ ومواجهتها عزلة دولية، وسعيها للحصول على مزيد من المساعدات من إيران إضافة إلي نظم أسلحة. والآن هذه العلاقة تنهار. وقد تلطخت العلاقات مع إيران، التي كانت لا تحظي في العادة بشعبية بين كثير من الإسلاميين السنة، أكثر نتيجة تأييد طهران للقمع الذي يمارسه النظام في سوريا. وقد غادر معظم قادة حماس سوريا، متوجهين إلي مصر ودول أخرى . كذلك انتقد بعض قادة حماس القمع الذي يمارسه نظام الأسد، وبقيامهم بذلك، انتقدوا ضمنا تأييد إيران لدمشق. وبالتالي فقدت إيران نفوذها لدي أهم شريك فلسطيني وفقدت التأييد بين الفلسطينيين بصورة عامة.

كذلك ترى طهران أن إسرائيل والولايات المتحدة في وضع هجومي، حيث أن قتل علماء نوويين إيرانيين وتفجيرات دمرت منشآت صورايخ إيرانية والهجوم الاليكتروني الذي أخر البرنامج النووي الإيراني وإجراءات عدوانية أخرى لكنها سرية تعتبر جزء من حرب منخفضة المستوي لكنها حقيقية تشنها الولايات المتحدة وإسرائيل – وهي حرب تصاعدت في السنوات الأخيرة. ومن وجهة النظر الإيرانية، فإن ما تمارسه من عنف هو ردا على الحرب التي يجري شنها بالفعل ضد نظام الملالي في إيران .

لقد أدت العقوبات المؤثرة التي فرضتها الولايات المتحدة وحلفائها ضد إيران إلي الاضرار بشدة بالنظام. وقد اعترف مسئولو النظام الإيراني بأن العقوبات تسبب لطهران مشاكل اقتصادية خطيرة، في اعتراف علني نادر بأن السياسة الأمريكية تحدث تأثيرا، في مقابل خطاب التحدي المعتاد. بالإضافة إلي ذلك، فإن تقليص مشتريات النفط من جانب زبائن إيران الهامين قد أدى إلي انخفاض في سعر ومعدل أهم صادرات إيرانية التي تعد شريان الحياة للاقتصاد الإيراني. وبخلاف التأثير الاقتصادي، فإن نجاح هذه العقوبات يزيد من احساس طهران بالعزلة الدبلوماسية.

لكن بينما تشعر إيران بالضغط فإنها تعتقد أيضا أن في مقدورها أن تقاوم. ويرى المسئولون الإيرانيون أن الولايات المتحدة في حالة تراجع نظرا لانسحابها من العراق وانسحابها التدريجي القادم من أفغانستان. وفي كلا البلدين (العراق وأفغانستان) توعدت الولايات المتحدة في البداية بإجراء تحول داخلهما وعزل الأصوات المؤيدة لإيران. لكن في العراق، فإن إيران اليوم هي القوة الخارجية الأكثر نفوذا، لاسيما في مناطق الشيعة رغم أن إيران كذلك لها نفوذا في الشمال الكردي. وإيران أقل قوة في أفغانستان، حيث تعتبر باكستان القوة المهيمنة التي تساند العناصر المعادية للولايات المتحدة والنظام في أفغانستان. لكن هناك أيضا ترحل الولايات المتحدة بدون تحقيق أهدافها المعلنة، والقوى المعادية للولايات المتحدة قد تملأ الفراغ. وفي كلا الحالتين، كان العنف في هاتين الدولتين – الذي تدعمه إيران جزئيا – هو عامل رئيسي أثر على قرارات الولايات المتحدة بتقليص التزامها. وبالتالي

فمن وجهة النظر الإيرانية، يعتبر المثال بسيطا: إضرب الولايات المتحدة بشدة وإصرار، فإنها ستتراجع .

كذلك فإن هناك تحولا في السياسة الداخلية قد يفسر سياسات طهران الأكثر جراة. فمنذ أوائل التسعينات، كان شائعا تقسيم الساحة السياسية الإيرانية المعقدة ووصفها بأنها تمثل معركة بين "المتشددين" و "البرجماتيين". وخلال فترة ولاية الرئيس محمد خاتمي (١٩٩٧-٢٠٠٥) وما يُسمي بـ "الثورة الخضراء" (٢٠٠٩)، كان هناك أمل أن يحدث إصلاح في إيران وأن تتبع طهران سياسة خارجية أكثر اعتدالا أو بالأحرى أن ينهار النظام الديني كما نعرفه. وخلال قمعه للحركة الإصلاحية والثورة الخضراء، فإن المعسكر المتشدد في إيران قلص الساحة السياسية الإيرانية. وأصبح داخل صفوف النخبة أصواتا أقل تشككا في قيمة الصلات بالإرهابيين. وفي السنوات الأخيرة دخل متشددون من الحرس الثوري الإيراني السياسة بأعداد كبيرة وتولوا مناصب أكثر أهمية في أجهزة الأمن الوطنية. وهؤلاء الأفراد، في معظمهم، ليسوا متعصبين، لكنهم يعتنقون نظرة عالمية ترى أن العنف الثوري له قيمة في حد ذاته وأداة هامة للدولة.

المعضلة النووية

من وجهة نظر مكافحة الإرهاب، فإن مسألة كيفية الرد على البرنامج النووي الإيراني هي مسألة محفوفة بالمشاكل. فقد خلقت ما يُسمي بـ "الحرب الخفية" بين إسرائيل وإيران، كما قد يشير هجوم بلغاريا، ديناميكية انتقام، في ظل شعور إيران بأنها مجبرة على الرد على ما تعتبره عدوان إسرائيلي. ويأتي هذا الشعور من رغبة في الإثبات للشعب الإيراني عموما أن حكومته ترد، ومن الغضب داخل جماهير النخب الهامة (وخاصة الحرس الثوري الإيراني) ومن إحساس بالإذلال، ومن إيمان قوي بالانتقام . وطالما أن إسرائيل ودولا أخرى تستخدم هجمات منخفضة المستوى ضد إيران وتحافظ على درجة مرتفعة من الضغط الاقتصادي والسياسي عليها، فإن إيران على الأرجح ستحاول شن هجمات إرهابية ردا على ذلك.

وإذا وجهت إسرائيل و / أو الولايات المتحدة ضربة عسكرية مباشرة ضد المنشآت النووية الإيرانية المشتبه بها، فإن رد إيران الإرهابي سيكون هائلا. فمن بين أسباب دعم إيران للإرهابيين إبقاء خياراتها مفتوحة، ولذا فمثل هذه الظروف التي تمر بها إيران الآن ستكون الوقت المناسب لدعوة الإرهابيين لتأييدها. ويمكننا أن نتوقع من إيران القيام بمحاولات لشن هجمات إرهابية في أنحاء العالم ـ فلإيران وحزب الله وجودا في كل القارات المؤهولة. كذلك ستحاول إيران طلب المساعدة من جماعات مثل القاعدة والجهاد الإسلامي الفلسطينية وجماعات أخرى تربطها بها علاقات، وإن كان اعتماد إيران على هذه الجماعات سيكون أقل، وأفرادها أقل مهارة مقارنة بأفراد حزب الله. إضافة إلي ذلك، فإن إيران من المرجح بصفة خاصة أن تصعد من دعم القوى المعادية للقوات الأمريكية في أفغانستان وأماكن أخرى في الدول المجاورة لها. وسوف يعتمد نطاق وحجم الرد على معدل الخسائر البشرية الناجم عن أي هجوم وعلى الظروف السياسية للنظام في طهران وقت ووقوع الهجوم. لكن إيران من المرجح أن تحاول القيام بهجمات متعددة، وقد تبحث في شن ضربات داخل الأراضي الأمريكية إضافة إلي المنشآت الدبلوماسية والعسكرية والمدنية الأمريكية في أنحاء العالم.

لكن إذا حصلت إيران على سلاح نووي، فإن الصورة من المرجح أن تتغير بشدة. ومن الواضح أن حصول إيران على سلاح نووي سيكون أمرا سيئا بالنسبة للولايات المتحدة وحلفائها من نواحي عدة، ومنع ذلك سيكون هدفا رئيسيا لأي إدارة أمريكية. وإذا فشلت السياسة الأمريكية وحصلت إيران على سلاح نووي، فمن الصعب التنبؤ بالطريقة التي ستتصرف بها طهران. ودافع بعض الباحثين على الفكرة النظرية بأن الأسلحة النووية، عموما، تجعل الدول أكثر حرصا لأنها تخشي من احتمالات التصعيد الكارثي الذي قد تحدثه أزمة نووية. وبالتالي فإن إيران، الأكثر شعورا بالأمن نتيجة حصولها على الأسلحة النووية والأكثر حرصا بسبب المخاطر المرتبطة بتلك الأسلحة، ستكون أكثر تحفظا في سياستها الخارجية. والأكثر ترجيحا، وإن كان من الصعب أن يكون حتميا، هو أن طهران قد تصبح أكثر جرأة

بامتلاكها سلاحا نوويا. وحاليا فإن تهديد الرد التقليدي الأمريكي هو كابح هام للسلوك الإيراني، حيث تدرك طهران أن قواتها لا تجاري القوة الأمريكية. لكن امتلاك إيران سلاحا نوويا قد يوفر لإيران القدرة على تهديد بالقيام برد مدمر إذا تعرضت قواتها التقليدية للهجوم. وبالتالي فإن هذه "المظلة" قد تمكن إيران من أن تكون أكثر جرأة في دعمها لمجموعات من شبه الدول مثل حزب الله أو قوى معارضة ضد مختلف خصومها العرب.

والنموذج هنا هو باكستان: فبعد حصولها على قدرة نووية، وبالتالي اعتقادها بامتلاك درجة من الحصانة ضد القوات الهندية التقليدية الأكثر تفوقا، أصبحت إسلام أباد أكثر جرأة في دعم الجماعات المتمردة والإرهابية المختلفة في كشمير وقتال نيودلهي عموما.

والجانب الإيجابي هو أن إيران من غير المرجح أن تنقل سلاحا نوويا إلي جماعات إرهابية إلا في ظل ظروف بالغة التطرف. ومن المستبعد ان تأتمن إيران مثل هذه القدرة الحساسة لدى مجموعة إرهابية – فقد تقع أخطاء عديدة للغاية من نواحي عديدة للغاية. بالإضافة إلي ذلك، ستدرك إيران حتى في ظل امتلاكها للجرأة أن الولايات المتحدة وإسرائيل ستعتبر مثل هذا النقل تهديدا خطيرا وتصعدان بشكل دراماتيكي من ضغطهما على إيران، بما في ذلك ربما شن عمليات عسكرية هامة. علاوة على ذلك، قد تكون الولايات المتحدة قادرة على كسب تأييد دولي في الوقت الذي تخشي فيه كل الدول تقريبا، بما فيها الصين وروسيا، من مثل هذا النقل. فلدى موسكو وبكين مشاكلهما الخاصة المتعلقة بالإرهاب. وأحد المؤشرات على حذر إيران في هذا المجال هو أنها لم تنقل أسلحة كيماوية تقليدية وأقل فتكا إلي حزب الله، رغم أنها تمتلك هذه الأسلحة ضمن ترسانتها منذ نحو ٢٥ عاما. ومن جانبها في جماعات مثل حزب الله، ستخشي من عواقب حصولها على أسحلة نووية، لإدراكها أن هذا قد يؤدي إلي عمليات عسكرية أمريكية وإسرائيلية ومن جانب دول أخرى قد تهدد وضع الحزب في لبنان. علاوة على ذلك، فإن هذه الجماعات أثبتت قدرة كبيرة على استخدام الصواريخ والمتفجرات والأسلحة الصغيرة لتحقيق أهدافها.

لكن، إذا اعتقد النظام الإيراني ذاته أنه يواجه تهديدا وشيكا بتغيير النظام من جانب الولايات المتحدة وحلفائها – وهو موقف مشابه لموقف صدام حسين عام ٢٠٠٣ – فإن الحسابات قد تتغير بشكل دراماتيكي. ومن وجهة نظر طهران، فإن الولايات المتحدة ودولا أخرى قد قامت بالفعل بالتصعيد إلي نقطة اللاعودة. ولن يكون لدى طهران شيئا لتخسره، وعلى الأقل سيكون لديها فرصة لترهيب أو ردع الولايات المتحدة بمثل هذه التحويلات. كذلك قد يخشي الإيرانيون من إمكانية أن ضربات أمريكية إجهاضية سوف تمنعهم من القدرة على إطلاق رادعهم وبالتالي فإن نقل بعض المواد إلي جماعة إرهابية سيمكنهم من الإبقاء على التهديد برد حتى إذا تم احتلال معظم بلادهم. إضافة إلي ذلك، قد يسعى القادة الإيرانيون إلي الانتقام أو ببساطة قد يرغبون في التنفيس عن غضبهم واستخدام عناصر إرهابية للقيام بذلك.

توصيات سياسية

لكون استخدام إيران للإرهاب عادة ما يتبع منطقا إستراتيجيا وعقلانيا، فإن السياسة الأمريكية يمكن أن تؤثر على حسابات إيران بشأن ما إذا كانت ستؤيد جماعات وإلي أي حد يصل هذا التأييد.

وأول خطوة أمريكية هي توسيع الجهود مع حلفائها لمحاربة الإرهاب الذي تدعمه إيران، بما في ذلك حزب الله. وفي معظم الأحيان حصل حزب الله على حرية وصول بلا قيود مع حلفاء الولايات المتحدة لأنه ينخرط كذلك في النشاط السياسي والخيري الاجتماعي، مما يدفع بعض الدول إلي محاولة التمييز بين "النواحي الشرعية" و"النواحي غير الشرعية" لحزب الله. ومن خلال التوضيح بأن أي استخدام أو دعم للإرهاب من جانب حزب الله هو أمر غير مشروع، فإن الحلفاء سيعاقبون الحزب اللبناني حتى ينهي أو على الأقل يقلص استخدامه للعنف.

إضافة إلي ذلك، قد تتسع حملة الاستخبارات والشرطة ضد حزب الله وإيران، مما يؤدي إلي مزيد من التحقيقات والاعتقالات مما يجعل من الأصعب على حزب الله وعلى المسئولين الإيرانيين إدارة هجمات ناجحة. كذلك يجب تشجيع الحلفاء على

تقليص حجم البعثات الدبلوماسية الإيرانية، حيث يرتبط العديد من نشاطات البعثات الدبلوماسية الإيرانية في بعض الدول بجمع معلومات الاستخبارات ودعم المنظمات المتشددة.

ومنذ فترة طويلة جعلت الولايات المتحدة شبكات إيران التخريبية وعلاقاتها بحزب الله أولوية استخبارية. لكن نظرا لأن هذا الخصم يعمل على مستوى النطاق العالمي، فإن ردا عالميا بات ضرورة. وهذا يتطلب العمل مع حلفاء في أنحاء العالم، مثلما فعلت الولايات المتحدة ضد تنظيم القاعدة. وفي الواقع هؤلاء الأصدقاء هم عادة، وليس دائما، نفس الحلفاء الشركاء ضد القاعدة، لكن من الحيوي ضمان ــ من خلال المساعدات المالية والمساعدات الأخرى الملائمة - أنهم يستهدفون أيضا حزب الله والجماعات التي تدعمها إيران. لكن حزب الله يُعتبر كيانا شرعيا في نظر العديد من الحكومات، أو على أقل تقدير ليس مكروها من الجميع مثل القاعدة. وبالتالي سيكون من الصعب إدارة حملة شاملة بدون جهود ضخمة ومتواصلة.

وما يجعل التحدي أصعب أن الولايات المتحدة لا تملك سوى وسائل إضافية قليلة للضغط يمكن أن تستخدمها بصورة مباشرة ضد إيران لأنها تستخدم بالفعل معظم هذه الوسائل لوقف البرامج النووية الإيرانية. ويتم بالفعل تطبيق عقوبات ــ محددة وواسعة ــ ضد سلسلة من الأهداف الإيرانية. وقد اتسعت هذه العقوبات بشكل دراماتيكي في ظل إدارة أوباما ويجب أن تستمر هذه الجهود، لكن من الصعب القيام بالمزيد في ظل الظروف السياسية الحالية.

كذلك يجب على الولايات المتحدة أن تضع "خطوطا حمراء" واضحة فيما يتعلق بالإرهاب. وعلى سبيل المثال، يجب أن يؤكد المسئولون الأمريكيون على أن الهجوم على الأراضي الأمريكية سوف يُواجه برد حاد. لكن الأمر الهام لنجاح ذلك هو أن يتم تحديد مسبق لطبيعة الرد في حالة تجاوز خط أحمر ومن ثم امتلاك الإرادة والقدرة على تنفيذ هذا الرد إن حدث ذلك. وبخصوص البرنامج النووي الإيراني وتصرفات إيران في العراق وأفغانستان، فإن طهران تجاوزت بصورة متكررة خطوطا حمراء أمريكية في العقد الأخير ولم تُواجه سوى بعواقب قليلة نسبية، مما

يقلص مصداقية التهديدات الأمريكية في المستقبل. وإذا كانت الولايات المتحدة ليست جادة بشأن القيام برد، فمن الأفضل ألا تهدد أصلا.

وهناك أولوية أخرى هي محاولة قطع الصلات بين إيران والقاعدة. فعلى النقيض من حزب الله، فإن القاعدة ليست قريبة من الناحية العقائدية لطهران ولا يبدو أنهما قاما بعمليات مشتركة، ومن ناحية أخرى، فإن القاعدة أكثر استعدادا للقيام بهجمات عشوائية واسعة النطاق، بما في عمليات تستخدم الأسلحة الكيماوية أو البيولوجية أو النووية إذا وصلت هذه الأسلحة إلي التنظيم الذي يقوده الظواهري. وفي الوقت ذاته، اصبحت إيران أكثر أهمية بالنسبة للقاعدة في السنوات الأخيرة حيث خف ضغط النظام الإيراني على القاعدة هناك وأدى برنامج الطائرات بدون طيار في باكستان إلي جعل باكستان مأوى أكثر صعوبة للقاعدة.

وسيكون أمام ضربات عسكرية محدودة، وهي ضربات فشلت ضد جماعات إرهابية أو منظمات من أشباه دول مثل طالبان في أفغانستان، فرصة أكبر للنجاح ضد دول مثل إيران التي تملك جيشا حقيقيا وبنية تحتية اقتصادية. والاستخدام الواضح للقوات، كما حدث في العمليات التي قامت بها الولايات المتحدة عامي ١٩٨٧ و١٩٨٨ التي أدت إلي إغراق جزء من البحرية الإيرانية، يمكن أن يعزز الردع الأمريكي إذا تجاوزت إيران الخطوط الحمراء. ولكون إيران تعاني من صعوبات اقتصادية حادة، فإن مجرد التهديد بمثل هذه الضربات سوف يتم أخذه بجديه من جانب قادة إيران.

ومن المرغوب فيه أن يسقط نظام الأسد في سوريا، وسيؤدي ذلك إلي تقليص النفوذ الإيراني، لكنه لن يغير بشكل دراماتيكي من تأييد طهران للإرهاب وقد يزيد حتى من اعتماد إيران على جماعات شبه دول. ورغم أن حزب الله سوف يخسر حاميا هاما إذا تغير النظام في دمشق، حيث سيكون من الصعب شحن الأسلحة إلي لبنان عن طريق سوريا، فإن أهمية حزب الله بالنسبة لإيران سوف تزداد. ويظل من السهل نسبيا إرسال أسلحة إلي لبنان دون المرور عبر سوريا، فدور حزب الله في الحكومة اللبنانية (والسيطرة على مطار بيروت) تجعل من شبه المستحيل وقف تدفق

الأسلحة إلي هناك. وبالتالي فإن إيران قد ينتهي بها الحال إلي الاعتماد على مجموعات من شبه الدول إذا خسرت حليفها الإقليمي الرئيسي.

وفي النهاية، فإن افتقاد إيران إلي الخيارات الإستراتيجية والرغبة في الرد على ما تعتبره إرادة عالمية معادية سوف يقود طهران إلي مواصلة العمل مع سلسلة من الجماعات الإرهابية واستخدام العنف بصورة انتقائية. ويمكن أن تقلل سياسة أمريكية ناجحة من نطاق وحجم العنف الإيراني، لكن من غير المرجح أن ينتهي ذلك العنف بصورة تامة.

التحالف غير المرجح

علاقة إيران السرية بالقاعدة

في ١٦ فبراير، ٢٠١٢، صنفت وزارة الخزانة الأمريكية وزارة الاستخبارات والأمن الإيرانية، مؤسسة المخابرات الرئيسية في إيران، بأنها مؤسسة "تدعم جماعات إرهابية مثل القاعدة والقاعدة في العراق... مما يكشف مرة أخرى عن حجم الرعاية التي تقوم بها إيران للإرهاب كمسألة سياسة دولة من جانب إيران".

وطوال نحو ٣٠ عاما، عملت إيران مع جماعات إرهابية رئيسية، مثل حزب الله اللبناني وحماس، لتشجيع مصالحها في الشرق الأوسط، ووفرت لهذه الجماعات التدريب والتمويل والأسلحة. ويشير تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن الإرهاب العالمي لعام ٢٠١٠، الصادر في ١٨ أغسطس ٢٠١١، إلي أن: "إيران ظلت الدولة الأكثر رعاية للإرهاب... وكان للدعم المالي والمادي واللوجيستي الإيراني للجماعات الإرهابية والمتشددة في أنحاء الشرق الأوسط وآسيا الوسطي تأثيرا مباشرا على الجهود الدولية لتشجيع السلام، وهدد الاستقرار الاقتصادي في الخليج، وقوض النمو والديمقراطية".

وصلات إيران بحزب الله والجماعات الفلسطينية المتشددة، مثل حماس والجهاد الإسلامي الفلسطينية، هي صلات موثقة جيدا، لكن صلاتها بالقاعدة مازالت محاطة بالسرية في معظمها، أو علي الأقل يتم إخفائها في قنوات سرية. ومع ذلك ساعد عدد من الوثائق التي نُشرت خلال العقد الماضي في إلقاء الضوء على صلات إيران بالقاعدة.

وعلى سبيل المثال، حسب تقرير لجنة الحادي عشر من سبتمبر، الذي نُشر في يوليو ٢٠٠٤، عملت إيران والقاعدة معا خلال أوائل التسعينات أثناء تواجد قادة القاعدة في السودان. كذلك، توفر كتابات سيف العدل الزعيم البارز في القاعدة – المطلوب في الولايات المتحدة بسبب دوره المزعوم في تفجيري السفارتين الأمريكيتين عام ١٩٩٨ في كل من تنزانيا وكينيا – رؤية فريدة لتأييد إيران للقاعدة، وخاصة في السنوات التي سبقت عام ٢٠١١.

وتوثق هذه التقارير عدد من الأمثلة التي قدمت خلالها إيران الدعم للقاعدة، مما مكنها من القيام بهجمات بفاعلية أكثر وتجنب جهود مكافحة الإرهاب التي تقوم بها الولايات المتحدة والتحالف. ومع ذلك، فإن انعدام الثقة بين طهران وأعضاء القاعدة يبدو أنه أيضا قد منع الجانبين من تطوير علاقة عمل أوثق. وتكشف الوثائق التي تم انتشالها خلال الغارة على مسكن أسامة بن لادن في أبوت أباد في باكستان في مايو ٢٠١١ أن العلاقة بين القاعدة وإيران كانت "تشوبها صعوبات"، كما تم وصفه في تقرير لمركز مكافحة الإرهاب بعنوان "خطابات من أبوت أباد: تهميش بن لادن"، المنشور في ٣ مايو ٢٠١٢. وحسب التقرير، هناك "إشارات إلي إيران (في الوثائق) تظهر أن العلاقة لم تكن علاقة تحالف، بل مفاوضات غير مباشرة وغير سارة بشأن إطلاق سراح جهاديين وعائلاتهم، بما فيهم أعضاء من أسرة بن لادن. ويبدو أن أعتقال أعضاء بارزين في القاعدة قد أشعل حملة من التهديدات، واحتجاز رهائن ومفاوضات غير مباشرة بين القاعدة وإيران امتدت لسنوات وربما تكون مازالت مستمرة.

وهذه التقارير تصف جزئيا فقط طبيعة الصلات بين إيران والقاعدة، لكنها على الأقل تساعد على تحديد عدد من الدوافع الإيرانية العامة للعمل مع القاعدة. وتشمل هذه الدوافع رغبة طهران في كسب مزيد من النفوذ على الولايات المتحدة، والحفاظ على خياراتها في منطقة غالبا معادية، ولمنع وقوع هجوم للقاعدة على الأراضي والمصالح الإيرانية. وفي الوقت نفسه، توفر إيران شريان حياة هام للقاعدة، التي مازالت تعاني من تأثير ضربات الطائرات بدون طيار التي تستهدف قيادتها المتمركزة في باكستان.

خلاف متواصل

أعاقت الخلافات العقائدية تطوير صلات أكثر عمقا بين إيران الشيعية والقاعدة السنية، وكانت العلاقة عادة يسودها الخلاف والشكوك المتبادلة أو بالأحرى العداء الصريح . وعلى سبيل المثال، في شريط فيديو نشره موقع السحاب، الجناح الإعلامي للقاعدة، في ١٧ ديسمبر ٢٠٠٧، شجب أيمن الظواهري نائب زعيم القاعدة حينذاك ما وصفه بالتحالف "الإيراني – الصليبي" القائم على أساس تعاون إيراني مع الولايات المتحدة في غزوها لأفغانستان والعراق. وأوضح الظواهري أن: "إيران قد وجهت طعنة في الظهر للأمة الإسلامية، وآثار هذه الطعنة ستظل في الذاكرة الإسلامية لفترة طويلة قادمة".

وحسب تقرير مركز مكافحة الإرهاب الصادر في مايو ٢٠١٢ بعنوان "خطابات من أبوت أباد"، فإن "العلاقات بين القاعدة وإيران يبدو أنها عدائية للغاية"، في ظل إحباط وغضب قادة القاعدة تجاه السلوك الإيراني، لاسيما فيما يتعلق بجهود القاعدة لتأمين إطلاق سراح عدد من الجهادين المحتجزين في إيران.

وفي تقرير خاص بتاريخ ١١ يونيو، ٢٠٠٩، يبدو أنه موجه إلي بن لادن، كتب عطية، وهو أحد كبار الشخصيات في القاعدة، يقول أن إيران قد أطلقت سراح عددا من الكوادر من المستوى المتوسط الشهر الماضي. وحسب عطية، فإنه قد تم الضغط على إيران للتعجيل بإطلاق سراح المعتقلين نتيجة الحملة السياسية

والإعلامية المتصاعدة للقاعدة، والتهديدات التي وجهتها القاعدة ضد المصالح الإيرانية، واختطاف مسئول في القنصلية الإيرانية في بيشاور – في إشارة إلي حمزة الله أثرزادة – نياكي، الذي تم اختطافه في نوفمبر ٢٠٠٨.

لكن عطية عبر عن ضيق حاد تجاه غياب الاتصال المباشر بين إيران والقاعدة في المفاوضات. وقال "هؤلاء (المجرمون) لا يرسلون لنا أي رسائل، ولا يتحدثون إلي أيا من أشقائنا عن المسألة." ومضي بقوله "هذا ليس بمستغرب منهم؛ وفي الحقيقة هذه هي عقليتهم وطريقتهم. إنهم لا يريدون أن يظهروا أنهم يتفاوضون معنا أو أنهم يتفاعلون مع ضغطنا، وهم يقومون بهذه الأعمال ليظهروا كما لو أنها من جانب واحد وأنها مسألة مبادرة من جانبهم ." وأضاف، في إشارة دالة على مشاعره الحقيقية: "ندعو الله أن يرد شرهم... أمين ."

وحسب الخطاب من أبوت أباد، كان بن لادن لديه شكوكا تجاه إخلاص النظام الإيراني. فحين لم تظهر إيران هدفها من المساومة على إطلاق سراح أعضاء عائلة بن لادن، كتب خالد ابن أسامة بن لادن خطابا إلي أية الله خامنئي يعرب فيه عن غضب القاعدة لتجاهل الحكومة الإيرنية لعدد من الخطابات التي تطالب بإطلاق سراح المعتقلين.

ولكون أن العداء بين الجانبين هو عداء هائل، فإن الطرفين قللا من شأن عمق وطبيعة العلاقة. وعلى سبيل المثال، بعد الهجوم عام ٢٠٠٠ ضد المدمرة يو إس إس كول، حاولت إيران تعزيز علاقاتها مع القاعدة، وهي خطوة تردد أن بن لادن رفضها لأنه لم يكن يريد إغضاب أنصاره السعوديين، حسب ما ذكره تقرير لجنة الحادي عشر من سبتمبر. ولو كانت علاقة القاعدة بإيران قد أصبحت علنية، لكانت القاعدة على الأرجح ستخسر المجندين المحتملين والتبرعات من الأنصار المعادين للشيعة. أما دوافع إيران لإبقاء علاقتها مع القاعدة سرية فكانت مختلفة، لكنها لم تكن أقل عمقا. فرغم وضعها كدولة مارقة، فإن إيران مازالت تسعي إلي التجارة والاستثمار وأشكال العلاقات الأخرى مع المجتمع الدولي الأوسع، وهي ستصبح منبوذة أكثر لو أن تفاعلاتها مع القاعدة قد أصبحت معروفة على نطاق واسع.

زواج مصلحة

رغم المسائل الطائفية الواضحة والمستمرة، فإن إيران أظهرت مع ذلك استعدادا متكررا للعمل مع أي منظمة تتفق مع أهدافها ومنها معارضتها للولايات المتحدة وعدائها لإسرائيل. والخلاف الطائفي ليس مطلقا، واستطاعت إيران تجاوز الانقسامات الشيعية – السنية والتعاون مع سلسلة من الجماعات السنية، أبرزها حماس في غزة. ولذلك استطاعت إيران والقاعدة تنحية خلافاتهما عندما كان من المفيد لهما القيام بذلك.

وخلال حديثه أمام جلسة استماع للجنة الخدمات المسلحة التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي في ١٦ فبراير ٢٠١٢، وصف مدير المخابرات القومية جيمس كلابر هذا التحالف الحذر بأنه "زواج مصلحة." وقد شمل هذا التحالف مساعدات تدريب إيرانية محدودة لكوادر القاعدة في أوائل التسعينات، وتسهيل عبور القاعدة والجهاديين المرتبطين بها عبر إيران إلي أفغانستان قبل وبعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر ضد الولايات المتحدة، والسماح لعناصر تابعة للقاعدة بالبقاء في إيران في ظل شكل فضفاض من تحديد الإقامة يوفر لهم كذلك مستوى من الملاذ الآمن.

وخلال المراحل الأولي للعلاقة في أوائل التسعينات، ربما نظرت إيران إلي القاعدة باعتبارها حركة تابعة محتملة لها، وكانت على استعداد لتوفير تدريبا لها على أمل أن تتطور القاعدة إلي حليف مفيد. وحسب تقرير لجنة الحادي عشر من سبتمبر، فإنه خلال فترة وجود القاعدة في السودان، سهل المسئولون السودانيون اجتماعات بين كوادر من القاعدة ومسئولين إيرانيين، تمخضت عن توفير إيران تدريب تكتيكي للقاعدة. وخلص التقرير إلي أنه "في أواخر عام ١٩٩١ أو عام ١٩٩٢، أدت المناقشات في السودان بين القاعدة والكوادر الإيرانيين إلي اتفاق غير رسمي للتعاون في توفير الدعم – حتى وإن كان فقط التدريب – لعمليات يتم تنفيذها بشكل رئيسي ضد إسرائيل والولايات المتحدة. وبعد فترة قصيرة، توجه كبار كوارد ومدربي القاعدة إلي إيران لتلقي تدريبات على استخدام المتفجرات. وفي [أواخر] عام ١٩٩٣، توجه وفد آخر من نفس النوع إلي وادي البقاع في لبنان لتلقي مزيد من

التدريب على استخدام المتفجرات إضافة إلي التدريب في مجال الاستخبارات والأمن".

وهناك عدد من العوامل المحركة التي تقف وراء دعم إيران المتواصل للقاعدة منذ أوائل التسعينات، فأولا وجود كوادر للقاعدة في إيران يوفر لطهران ورقة مساومة وثقل هام مع الولايات المتحدة وأعداء آخرين. فمن ناحية يمكن لإيران أن تخفف القيود على كوادر القاعدة في إيران وتسهل سفرهم إن أرادت لإثارة الأوضاع في أفغانستان أو العراق (أو ضد الولايات المتحدة بصورة عامة)؛ أو من ناحية أخرى، يمكنها أن تقيد حركتهم أو حتى تسلمهم إن أرادت من أجل تحسين العلاقات مع واشنطن أو أعداء القاعدة".

ثانيا، الصلات بالقاعدة (والجهاديين الآخرين) توفر لإيران خيارات لعمليات عرقلة وخطط طوارئ. وعلي سبيل المثال، في حالة أن العلاقات الإيرانية الثنائية مع السعودية تدهورت – وهو أمر يبدو مرجحا في أعقاب الكشف عن مؤامرة تشمل مواطنين إيرانيين لاغتيال السفير السعودي لدى الولايات المتحدة، عادل الجبير، في أكتوبر ٢٠١١ – فإن إيران سوف تستفيد من خيار العمل مع الجهاديين السنة المعادين للنظام السعودي.

ثالثا، أدى توفير دعم لوجيستي وشكل من الملاذ الآمن إلي القاعدة إلي تمكين إيران من حماية نفسها من هجوم محتمل ضد أهداف في إيران، وضمان قدرا من السلوك الجيد من الحركة الجهادية السنية الأوسع. وفي خطاب عام ٢٠٠٥ موجه إلي أبو مصعب الزرقاوي، الذي كان حينذاك قائد القاعدة في العراق، تم الكشف عنه في أكتوبر ٢٠٠٥، طلب الظواهري من الزرقاوي بأن يوقف استهداف الأهداف الشيعية والإيرانية، لأن إيران تحتجز أكثر من مائة من أعضاء القاعدة.

طريق المرور إلي أفغانستان

عندما تم إجبار القاعدة على ترك السودان عام ١٩٩٦، عاد بن لادن وأتباعه إلي الإقامة في أفغانستان، التي كانت قد خضعت مؤخرا لسيطرة طالبان. وبدأ

المجندون الجهاديون على الفور في التوافد على أفغانستان للانضمام إلي معسكرات تدريب القاعدة. ووضعت القاعدة عن عمد بعض معسكرات التدريب بالقرب من الحدود الإيرانية لجعل من الأسهل على المجندين السفر عبر إيران إلي أفغانستان. وحسب تقرير (خطابات من أبوت أباد) "فإن الحدود الغربية لأفغانستان التي تجاور إيران اعتبرها إستراتيجيو القاعدة قاعدة بديلة لأنشطتهم الخاصة بالفلات والتهرب من عمليات الاقتحام التي كانت تقوم بها قوات العمليات الخاصة وتستهدفهم في الفترة التي سبقت الغزو الذي قادته الولايات المتحدة لأفغانستان في عام ٢٠٠١."

وفي كتاباته المتاحة علنا (التي استشهد بها مركز مكافحة الإرهاب)، شرح سيف العدل أن القاعدة اختارت مواقع معسكرات التدريب حتى تُمَكن المجندين من العبور من وإلي أفغانستان وباكستان وإيران، والسفر من هناك إلي ميادين هامة للجهاد مثل العراق. فحين بدأت السلطات الباكستانية ممارسة الضغط على القاعدة ومراقبة تحركاتها، أصبح من الصعب على أشقائها العرب الوصول إلي أفغانستان عبر باكستان.

وحسب تقرير لجنة الحادي عشر من سبتمبر، فقد كان من المعروف على نطاق واسع، على سبيل المثال، أنه إذا سافر مواطن سعودي إلي أفغانستان عبر باكستان، فلدى عودته إلي السعودية يكون جواز سفره، الذي يحمل ختما باكستانيا، عرضة للمصادرة. ونتيجة لذلك، عادة ما كان كوادر القاعدة يزيلون تأشيرات الدخول الباكستانية من جوازات سفرهم أو يسافرون عبر إيران، التي لم تختم التأشيرات بصورة مباشرة على الجوازات. وجمعت اللجنة أدلة تظهر أن ٨ إلي ١٠ من العناصر السعودية الـ ١٤ التي شاركت في هجمات الحادي عشر من سبتمبر قد سافرت إلي أو من إيران بين أكتوبر ٢٠٠٠ إلي فبراير ٢٠٠١.

بالإضافة إلي ذلك، سمحت إيران للقاعدة بإقامة منازل آمنة داخل البلاد لمجندين يقومون برحلة طويلة إلي أفغانستان. وتحتوي وثائق تم رفع السرية عنها وتسريبها، تم إعدادها في سجن خليج جوانتانامو، واستند إليها توماس جوسلين في مقاله المنشور في مايو ٢٠١١ في مجلة ذي لون وور جورنال بعنوان "أمير القاعدة

المؤقت وإيران"، على إشارات عديدة إلي منازل الضيافة في إيران، التي تردد أنه تم تمويلها من جانب بن لادن .

وحسب سيف العدل: "كان هذا الطريق (عبر إيران) جديدا وهاما لنا في القاعدة. وقد استفدنا منه لاحق. واستخدمناه بدلا من الطريق القديم عبر باكستان، لاسيما لمرور أشقائنا العرب. وهذه المسألة دفعتنا إلي التفكير في بناء علاقات مع بعض الأشخاص الفاضلين في إيران لتمهيد الطريق والتنسيق فيما يتعلق بالمسائل ذات الاهتمام المشترك. وقد تحقق التنسيق مع الإيرانيين في وقت لاحق."

وتشير بعض الدلائل إلي أن طهران مازالت تسمح لكوادر القاعدة بالسفر إلي أفغانستان عبر إيران. وقد تردد أن عادل محمد محمود عبد الخالق، عضو الجماعة الإسلامية للقتال الليبية والحركي في القاعدة – الذي وصفته وزارة الخزانة الأمريكية في يونيو ٢٠٠٨ بأنه يوفر الدعم المالي والمادي واللوجيستي للإرهاب – قد سافر إلي إيران على الأقل خمس مرات بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٧. وحسب وزارة الخزانة، فإن عبد الخالق قد تم اعتقاله في الإمارات العربية المتحدة بتهم انتمائه للقاعدة والجماعة الإسلامية للقتال في يناير ٢٠٠٧. وفي أعقاب إدانته في الإمارات في أواخر عام ٢٠٠٧، تم تحويله في أوائل عام ٢٠٠٨ إلي سجن في البحرين لقضاء باقي فترة السجن.

وقد تم وصف عدد من الأفراد من جانب وزارة الخزانة الأمريكية بأنهم يلعبون أدوارا هامة في تسهيل حركة الجهاديين عبر إيران. ففي ١٦ يناير ٢٠٠٩، حددت وزارة الخزانة أربعة كوادر في القاعدة في إيران، من بينهم مصطفي حميد (المعروف باسم أبو وليد المصري)، الذي تردد أنه كان المحاور الرئيسي بين القاعدة وحكومة إيران. وحسب رصد وزارة الخزانة، فإن حميد أثناء إقامته في إيران "كان يأويه الحرس الثوري الإسلامي الإيراني، الذي كان نقطة الاتصال بين القاعدة وإيران. وفي منتصف التسعينات، تردد أن حميد تفاوض على لإقامة صلة سرية بين أسامة بن لادن وإيران تسمح للعديد من أعضاء القاعدة بمرور آمن عبر إيران إلي أفغانستان."

وفي ٢٨ يناير، ٢٠١١، رصدت وزارة الخزانة كذلك ست أعضاء من شبكة للقاعدة تقوم بدور خط أنابيب جوهري عبره تنقل القاعدة الأموال، والمسهلين والكوادر من الشرق الأوسط إلي جنوب آسيا. ومن بين هؤلاء الأفراد كان ياسين السري (المعروف باسم عز الدين عبد العزيز خليل)، وهو مسهل بارز يقيم في إيران سمحت له السلطات الإيرانية بالعمل في إيران منذ عام ٢٠٠٥، وقام بسهيل سفر مجندين متطرفين من القاعدة من الخليج إلي باكستان وأفغانستان عبر إيران.

ويعرض (برنامج مكافأة في مقابل العدالة) التابع لوزارة الخارجية الأمريكية مكافأة قدرها ١٠ مليون دولار في مقابل القبض على ياسين السري.

بالإضافة إلي ذلك، خلال محاكمة أحمد والي صديقي، الذي تم اعتقاله في عام ٢٠١٠ وهو في طريقه إلي ألمانيا قادما من أفغانستان واتهامه بانتمائه لمنظمة إرهابية، كشف عن أنه واثنين من المتعاونين معه – هم رامي مكناسي ومؤمن محيشي - قد سافروا مباشرة إلي إلي إيران للقاء قادة في القاعدة، وأنهم كانوا يخشون من كونهم عرب أن يتم استجوابهم وربما القبض عليهم إذا سافروا إلي باكستان. وقال صديقي أن مكناسي ومحيشي سافرا من فيينا إلي طهران "حتى لا يتم القبض عليهما". وفي مارس ٢٠١٢، أصدرت محكمة ألمانية حكما بالسجن ضد صديقي لمدة ست سنوات لعضويته في منظمتين إرهابيتين: القاعدة والحركة الإسلامية الأوزبكية.

وكانت مخاوف مكناسي حقيقية. فقد اعتقلته السلطات الباكستانية في يونيو ٢٠١٠، وسلمته إلي ألمانيا في أغسطس، وتم سجنه في ٩ مايو ٢٠١١ لمدة أربع سنوات وتسعة أشهر لانضمامه إلي القاعدة والتدريب في معسكرات إرهابية في باكستان. وأعلن المسئولون الباكستانيون في ٢٠ يونيو ٢٠١٢ أنه تم القبض على محيشي بالقرب من الحدود الباكستانية – الإيرانية، حسب وكالة رويتر. وحسب مسئولين أمنيين أمريكيين وأوروبيين في يناير ٢٠١٢، كان محيشي، الذي كان يختبأ في إيران، مقربا من أحمد عطا زعيم مجموعة الحادي عشر من سبتمبر وأمضي وقتا في التسعينات في معسكرات إرهابية في أفغانستان.

"إقامة جبرية أم مأوي آمن؟"

بالإضافة إلي المساعدة في السفر، فإن إيران وفرت مأوى آمن محدود للقاعدة. لكن السياسة الإيرانية تجاه وجود القاعدة في البلاد كانت أبعد ما تكون عن الثبات، حيث تأرجحت ما بين توفير بيئة عمل متساهلة، إلي بيئة معادية تجاه القاعدة وشملت إجراءات قمعية بين الحين والآخر ضد أنشطتها داخل الحدود الإيرانية. وفي شهادته المكتوبة أمام لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي في مارس ٢٠١٠، قال الجنرال ديفيد بيترايوس، الذي كان حينذاك قائد القيادة المركزية الأمريكية وحاليا مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية: "السلطات الإيرانية تقوم بين الحين والآخر بتعطيل هذه الشبكة باعتقال مسهلين ومخططين للعمليات تابعين للقاعدة. وسياسة طهران في هذا الصدد لا يمكن التنبؤ بها."

وخلال التسعينات، كانت إيران وجهة مشهورة للجماعات الإرهابية التي كانت تحتاج إلي مكان آمن لعقد اجتماعات. وفي عام ٢٠٠٤، أعادت جيسيكا شترن، التي تقوم بالتدريس في جامعة هارفارد، للذاكرة من خلال مقابلاتها في باكستان في أواخر التسعينات أن جهاديين سنة سافروا إلي إيران لجمع الأموال ولمقابلة الكوادر من جماعات متشددة أخرى مثل حزب الله .

وفي أعقاب الغزو الذي قادته الولايات المتحدة لأفغانستان، انقسمت القاعدة إلي مجموعتين: الأولي تبعت بن لادن والظواهري في باكستان، والأخرى التي شملت مجموعة من كبار المسئولين الذين شكلوا "مجلس إدارة"، سعت إلي الحصول على مأوي في إيران، وضمت سيف العدل، وأبو حفص الموريتاني (أحد كبار المنظرين للقاعدة)، وسليمان أبو غيث وسعد ابن بن لادن. وفي البداية، قيدت إيران قدرة هذه المجموعة على الحركة داخل إيران، حيث وضعت بعض المسئولين قيد أشكال مختلفة من الإقامة الجبرية وأعادت العديد من الجهاديين المشتبه بهم إلي بلادهم الأصلية، حيث كانوا يواجهون الاعتقال في العادة. ولبعض الوقت، بدت إيران حتى تنحاز إلي الولايات المتحدة. وقد أشار جاري سيتك، الخبير بالشئون الإيرانية، في مقال عام ٢٠٠٣ في مجلة واشنطن كوارترلي، إلي أن إيران أيدت

الحرب الأمريكية ضد طالبان وحتى أعطت تأكيدات بتقديم مساعدة محدودة للجيش الأمريكي.

لكن، بعد وصف إيران بأنها حلقة رئيسية في "محور الشر" خلال خطاب حالة الاتحاد في يناير ٢٠٠٢ الذي ألقاه الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش، خففت إيران على ما يبدو سيطرتها على القاعدة.

وعلى سبيل المثال، خلال الفترة التي سبقت الغزو الأمريكي للعراق في عام ٢٠٠٣، سمحت إيران للجهاديين السنة باستخدام أراضيها كقاعدة للتحضير لمقاومة قوات التحالف. وفي ذلك الوقت، شعرت إيران بالتهديد من الغزو الأمريكي لجارتها والحديث عن تغيير النظم في الشرق الأوسط. وحسب جاري جامبيل المحلل السياسي لشئون الشرق الأوسط، سافر الزرقاوي، زعيم تنظيم القاعدة في العراق، إلي إيران لمقابلة سيف العدل، الذي سمحت له الحكومة الإيرانية بلقاء جهاديين آخرين.

كذلك تردد أن أعضاء القاعدة المقيمين في إيران كانوا قادرين على التخطيط، أو على الأقل الاتصال مع الخلية الإرهابية المسئولة عن الهجمات التي وقعت في ١٢ مايو ٢٠٠٣ ضد مجمع سكني في الرياض بالسعودية. وكانت الخلية التي نفذت الهجوم على اتصال مع سيف العدل وسعد بن لادن، الذي يعتقد المسئولون الأمريكيون أنه رتب الهجوم الانتحاري في إبريل ٢٠٠٢ الذي استهدف معبد يهودي في تونس، حسب تقرير أذاعه برنامج ديتلاين على قناة سي بي إس الأمريكية في يونيو ٢٠٠٥. ونقل هذا التقرير عن مسئول سابق في المخابرات قوله أن السلطات السعودية – بمساعدة أمريكية وبريطانية – اكتشفت أن قادة القاعدة في إيران كانت تتصل مع الخلية في السعودية التي قامت بتنفيذ الهجمات. وقال المسئول أن "السعوديين أطلعوا الإيرانيين على ذلك.. وطلبوا بأن يوقف الإيرانيين عمليات مجلس الإدارة، مما دفع الإيرانيين إلي وضع ما بين ٢٠ إلي ٢٥ من مسئولي القاعدة في إيران قيد الإقامة الجبرية الفعلية."

وذكر تقرير الإرهاب الدولي الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية لعام ٢٠٠٩ أن إيران، رغم وضعها اعضاء القاعدة قيد الإقامة الجبرية، فإنها لم تقدمهم

للعدالة... ورفضت أن تحدد علنا أسماء أعضاء القاعدة الذين تضعهم قيد الإقامة الجبرية." وحسب تقرير لشبكة سي إن إن في مايو ٢٠٠٣، فإن المسئولين الإيرانيين اعترفوا باحتجاز عدد من كوادر القاعدة خلال اجتماع مع ممثل الأمم المتحدة في أفغانستان، وكان سيف العدل أبرزهم.

وتشير أدلة متوفرة إلي أن إيران خففت من القيود على أفراد القاعدة خلال السنوات القليلة الماضية، وتردد أنه تم إطلاق سراح عدد من أبرز عناصر القاعدة من جانب إيران، وإن كان لا تتوفر أدلة محددة عن وضعهم الحالي وأماكن تواجدهم في المصادر العلنية. وفي يناير ٢٠٠٩، أبلغ مايك ماك كونيل، الذي كان حينذاك مدير المخابرات الوطنية الأمريكية، الصحفيين أن سعد بن لادن غادر إيران وربما يقوم بنشاطه في باكستان، حسب صحيفة نيويورك تايمز. وفي يوليو ٢٠٠٩، نقلت الإذاعة العامة الأمريكية عن مسئولين في المخابرات قولهم أن سعد قد تم قتله في غارة لطائرة بدون طيار في باكستان. لكن هناك تقارير متناقضة تشير إلي سعد ربما مازال على قيد الحياة. وفي إبريل ٢٠١٢، تردد أن أبو حفص الموريتاني قد غادر إيران إلي موريتانيا، حسب تقرير لمجلة لونج وور جورنال.

وبعد ثماني سنوات في الأسر داخل إيران، تردد أن سيف العدل قد أطلق سراحه وعاد إلي باكستان في إبريل ٢٠١٠، حسب تقرير نشرته مجلة دير شبيجل الألمانية في أكتوبر ٢٠١٠ التي نقلت عن نعمان بن تومان، وهو جهادي ليبي سابق يعمل الآن في مركز أبحاث متخصص في مكافحة التطرف في بريطانيا.

خاتمة

إن العداء بين إيران وأعدائها مثل الولايات المتحدة وحلفائها العرب لا يظهر أي إشارة على التراجع وربما بالأحرى سيتزايد في حالة حدوث أزمة بشأن برنامج إيران النووي. وبالنسبة لإيران، يخلق هذا حافزا قويا على الاستمرار في التعاون مع جماعات مثل القاعدة. ففي حالة تعرض إيران للهجوم، فإنها سوف تلجأ إلي

الجماعات التابعة لها لتنفيذ ضربات طارئة نيابة عنها، إضافة إلي المساعدة في حماية النظام الإيراني.

لكن في الوقت نفسه، من المرجح أن تحد القيود في العلاقة بين إيران والقاعدة من توثيق هذه العلاقة. ولن ترحب إيران بأن تتحول هي إلي القاعدة الرئيسية لتنظيم القاعدة في العالم الإسلامي، ففي حالة حدوث ذلك ستكون المخاطر مرتفعة للغاية، وكذلك التكاليف السياسية في الداخل. وبالمثل، ستفقد القاعدة الدعم المالي وعمليات التجنيد إذا تم النظر إليها بأنها قريبة أكثر مما ينبغي من إيران. وبالتالي من المرجح أن يستمر هذا المزيج غير المريح من التعاون والعداء الذي ميز العلاقة بين إيران والقاعدة.

وانتقال القيادة من بن لادن إلي الظواهري من غير المرجح أن يحدث تغييرا جوهريا في هذه العلاقة. ومن الواضح أن الظواهري كان مؤثرا في قرار القاعدة الخاص بالعمل مع إيران رغم المخاطر العديدة. والظواهري برجماتي ويدرك فوائد العلاقة لكنه يدرك أيضا أنه يتعين عليه أن يرعي علاقته مع الجهاديين السنة والمانحين عموما وبالتالي سيكون مترددا في تطوير علاقة تكون وثيقة أكثر مما ينبغي مع إيران.

والتحول الأكبر قد يحدث إذا فقدت القاعدة ملاذها في باكستان. فقادتها هناك يتعرضون للهجوم من جانب ضربات الطائرات الأمريكية بدون طيار، وتشير تقارير وسائل الإعلام عن وثائق المخابرات التي تم جمعها من الغارة التي أدت إلي مقتل أسامة بن لادن إلي أنه اعتبر مثل هذه الهجمات مدمرة لجماعته. وتكشف وثائق أبوت أباد عن مخاوف بن لادن بشأن "أشقائه" في وزيرستان وأراد أن يرحلوا من هناك. وبالتالي فإن هؤلاء الذين تم إطلاق سراحهم من جانب إيران كانوا سوف يسدون الفراغ في صفوف القاعدة ويحلوا محل الذين تم قتلهم أوالذين يتركون باكستان. ومن شأن الحصول على مأوي في إيران، حتى إذا قيدت طهران بشدة حرية عمليات القاعدة، أن يوفر درجة من الملاذ الآمن، حيث لن تتمكن الولايات

المتحدة على الأرجح من القيام بهجمات بالطائرات بدون طيار في إيران كما تفعل في باكستان.

التعليق

د. يسرى العزباوى

خبير بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام

ينطلق هذين التقريرين الذى إعدهما دانييل بيمان من معهد بروكينجز، إحدهما عبارة شهادة لقاها أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى، من افتراض رئيسى مفاده أن إيران هى أحد أهم وأخطر رعاة الإرهاب في العالم، وأن دوافع الجمهورية الإسلامية لدعم الإرهاب قد تنوعت مع مرور الوقت، وإن قادتها اعتبروا بشكل ثابت أن الصلات بالجماعات الإرهابية وتوفير الدعم لها بمثابة أداة مهمة من أدوات القوة الوطنية.

وقد ذهب الكاتب إلى أبعد من ذلك، حيث أكد على أن إيران ربما ستصبح أكثر جرأة في السنوات القادمة في استخدام الإرهابيين للانتقام، إذا طورت وامتلاكت سلاحا نوويا. وأنه يجب على الولايات المتحدة العمل مع حلفائها من أجل إحباط إيران والمنظمات الإرهابية التابعة لها. ولكن في الوقت الذي تمارس فيه الولايات المتحدة بالفعل ضغطا على طهران عن طريق العقوبات والعزلة الدبلوماسية بسبب برنامج إيران النووي، لا يوجد سوى أسهم قليلة في جعبة أمريكا، وبالتالي فإن الولايات المتحدة ستجد من الصعب فرض ضغطا إضافيا على إيران بسبب الإرهاب.

وبداية، هناك عدة ملاحظات على ما علمية وإجرائية على ما كتبه دانييل بيمان. أولاً، هناك محاولة جادة من قبل الكاتب للربط بين إيران والإرهاب بشكل عام، والقاعدة على وجه التحديد. على الرغم من تأكيد الكاتب بأن هناك اختلافات جذرية ايديولوجية وعقائدية بين القاعدة السنية وإيران الشيعية، وأن إيران من وجه نظر القاعدة عميل للإدارة الأمريكية، حيث أن إيران قامت بتسهيل وتقديم خدمات جليلة للولايات المتحدة لضرب العراق وافغانستان.

ثانيا، ربط الكاتب بين محاولات إيران لامتلاك أسلحة نووية والإرهاب، حيث أكد على أنه فى حالة نجاح طهران بامتلاك أسلحة نووية ستقوم بالضرورة بأعمال إرهابية فى العالم والمحيط الإقليمى، مستشهداً بباكستان، وأكد على أن بعد حصولها على قدرة نووية، وبالتالي اعتقادها بامتلاك درجة من الحصانة ضد القوات الهندية التقليدية الأكثر تفوقا، أصبحت إسلام أباد أكثر جرأة في دعم الجماعات المتمردة والإرهابية المختلفة في كشمير وقتال نيودلهي عموما. وقد أغفل الكاتب متعمدا أن الهند هى التى كانت تقوم بالتدخل فى شئون باكستان، وأن القنبلة النووية الباكستانية كانت لمجرد الردع النووى الهندى.

ثالثا، إن مثل هذه التقارير والشهادات هى محاولات مستمرة لتبرير التدخل الأمريكى العسكرى فى شئون الدولية، تحت شعار الحفاظ على الأمن القومى الأمريكى والمساعدة على تحرير العالم من الجماعات والدول "المارقة"، والتخلص من أسلحة الدمار الشامل، كما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية فى العراق وأفغانستان، وبعد احتلالها للعراق لم تجد أمريكا أو غيرها أسلحة بيولوجيا ولم تحاوله العراق إلى واحة الديمقراطية فى منطقة الشرق الأوسط، كما إنها لم تقضى على الإرهاب فى أفغانستان ومازالت من الدول الفاشلة سياسياً واقتصادياً.

رابعا، فى الواقع تستخدم مثل هذا الشهادات للتأثير على الانتخابات الأمريكية فى الداخل، حيث توفر مادة خصبة لهجوم المرشحين ضد بعضهم البعض، خاصة مرشح الحزب الجمهورى الذى قام بانتقاد سياسة أوباما الخارجية التى ينتهجها ضد إيران.

خامسا، هناك صلات قوية بين اليمين الأمريكى اليهود المحافظ واللوبى الصهيونى وبين المراكز البحثية أو ما يعرف بـ "Think Tank" فى الولايات المتحدة، والتى تقوم إسرائيل بالتأثيرفيها حتى تستطيع أن تؤثر ليس فقط فى صانعى السياسة فى الولايات المتحدة، ولكن أيضا فى الرأى العام الأمريكى، والذى يقوم بالموافقة ومساندة إدارتها فى إنتهاج سياسة خارجية أكثر صارمة تجاه أى دولة تحت راية الدور العالمى للولايات المتحدة الأمريكية.

وهنا يثور سؤال فى غاية الأهمية، هل كل دولة تمتلك، أو تحاول أن يمتلك أسلحة نووية فهى دولة إرهابية؟ أو ستساعد بها المنظمات الإرهابية؟

العلاقة بين إيران وسوريا وحزب الله وحماس

يؤكد الكاتب أنه منذ الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ التي أطاحت بحكومة الشاه، عمل رجال الدين فى إيران مع سلسلة واسعة من الجماعات الإرهابية لتشجيع المصالح الإيرانية، وتم استخدام الإرهاب، الذى ظل أداة مهمة للسياسة الخارجية الإيرانية في مواجهتها مع جيرانها ومع الولايات المتحدة. وقد أشار الكاتب بشكل واضح ومباشر إلى العلاقة التى تربط بين حزب الله وحماس وسوريا. ويرى الكاتب بأن سقوط نظام الأسد في سوريا، وسيؤدي إلي تقليص النفوذ الإيراني، لكنه لن يغير بشكل دراماتيكي من تأييد طهران للإرهاب وقد يزيد حتى من اعتماد إيران على جماعات شبه دول. ورغم أن حزب الله سوف يخسر حاميا مهما إذا تغير النظام في دمشق، حيث سيكون من الصعب شحن الأسلحة إلي لبنان عن طريق سوريا، فإن أهمية حزب الله بالنسبة لإيران سوف تزداد.

وعلى الرغم من صحة تحليل الكاتب، بعض الشئ، إلا أنه أغفل الكثير من العوامل الجديدة فى المنطقة فى تحليله، والتى منها على سبيل المثال محاولة استعادة مصر ثورة ٢٥ يناير دورها الإقليمى المفقود، والمحاولات التركية للعب دور أكبر فى المنطقة عما ذى قبل.

ومما لا شك فيه أن إيران تلعب دوراً محورياً فى الأزمات الرئيسية فى منطقة الشرق الأوسط . فعلى سبيل المثال إذا ما نظرنا إلى الأزمات الأربعة الكبرى الموجودة الآن فى المنطقة وهى، الصراع العربى الإسرائيلى، والأزمة السياسية العراقية المستمرة، والأزمة السورية، وأزمة الملف النووي الإيرانى، فسوف ندرك تماماً أن إيران تعد من اللاعبين الأصليين فى هذه الأزمات الأربع وليس فى أزمتها مع الغرب فقط.

ومن الواضح أن السياسة الإيرانية فى كل من سوريا ولبنان وغزة هى نموذج مصغر لسياسة إيران الخارجية الأكثر إتساعاً، وذلك رغم أنه من الممكن النظر إلى تصرفات إيران في كل حالة منها كمؤشر على علاقات ثنائية منفصلة. ففى بداية العلاقة تبدأ إيران باستثمارات كبيرة لدى حلفائها، كما هو الحال فى سوريا، وفى لبنان حزب الله، وفى المناطق الفلسطينية حيث الجماعات الإسلامية السنية الرافضة والمناهضة للاحتلال الإسرائيلى وحركة فتح بما فى ذلك حركة حماس، ومنظمة الجهاد الإسلامى، ونادراً ما يرى المراقبون قيام طهران بإعطاء أوامرها لهذه الجماعات بالقيام بعملياتها، ولكن ما يثير التساؤل ما إذا كان حلفاء إيران يمكن لهم البقاء بدون الأموال والأسلحة والدعم الدبلوماسى الذى تقدمه لهم بشكل منتظم الجمهورية الإسلامية.

فعلى سبيل المثال، تقدم إيران الآن كل الدعم المالى والعسكرى لنظام بشار فى سوريا، وهذا ليس بجديد، حيث أعلن كل من الرئيس السورى بشار الأسد والرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد فى يوليو ٢٠٠٧ بأن "إيران وسوريا كانتا، وهما الآن، وسوف يظلان إخوة وحلفاء". وفى ظل الأسد الأب كانتا الدولتين حلفاء وليس بالأحرى سيداً وتابعاً، ومنذ رحيل حافظ الأسد فى يونيو ٢٠٠٠، فإن الأبن الضعيف لم يستطع أن يكتسب الاحترام فى المنطقة وفى الداخل السوري أيضاً.

ومن الملاحظ أن ضعف بشار فى الداخل، والحرب التى يقودها ضد شعبه، ومركزه المهتز فى "ديكتاتورية بدون ديكتاتور"، فضلاً عن الأوضاع الدولية المتغيرة جعلته يعتمد بشكل أكبر على علاقات أوثق مع طهران. والأمثلة كثيرة وبارزة فى هذا المجال، منها نقل الأسلحة بين الدولتين عبر العراق، واحتمالات أو التوقعات بمساعدة الحرس الثورى الإيرانى للقوات النظامية السورية ضد الجيش الحر والمقاومة المسلحة، والتدريبات المشتركة بالنسبة لأنظمة الدفاع الجوى التى تم توريدها من روسيا، وبذلك حققت إيران لنفسها تواجداً مهماً فى سوريا فى السنوات الأخيرة.

وعلى الرغم من تحالف هذه القوى الراديكالية (حماس– إيران- سوريا- حزب الله)، إلا أنه هذا التحالف بدأ فى الانحصار بعد ثورة ٢٥ يناير، خاصة وأن حماس تدرك اليوم أن ٩٩% من قواعد اللعبة فى المنطقة بيد النظام السياسى الجديد فى مصر، الذى يناصب النظام السورى العداء ويقف بجوار الشعب السورى.ويعد هذا واضحاً من خلال التأكيدات المستمرة للدكتور محمد مرسى فى المحافل والمناسبات الدولية بأن نظام الأسد قد انتهى، ولابد أن يحكم الشعب السورى بنظام جديد يحترم حقوق الإنسان ويعبر عن إرادة شعبه، ومن ثم ستخرج حماس من هذا التحالف على أقل تقدير. وهناك مؤشرات على ذلك منها على سبيل المثال قيام التلفزيون الرسمى السورى بتوجيه انتقادات حادة لخالد مشعل ونعته بأنه ناكراً للجميل، وذلك لمحاولاته المستمرة فى التقرب إلى الرئيس المصرى الجديد، هذا من جانب.

ومن جانب آخر، هناك محاولات من النظام الإيرانى لاستعادة العلاقات مع القاهرة، والتى تقف بقوة ضد النظام السورى، وطالبت طهران بوقف المساعدات للنظام السورى المستبد. وترى طهران أنه قد آن الآوان لعودة العلاقات مع القاهرة من أجل خدمة مصالح الشعبين، ولكسر الحصار المفروض من الغرب على إيران.

وفى الواقع واجهت إيران مشكلات عديدة فى طريق فرض سيطرتها على العالم العربى، منها، أولا: إيران دول غير عربية، فالعرق الفارسى هو المسيطر على إيران بالإضافة إلى عرقيات أخرى بعضها عرب، وخلال القرن الماضى كانت القومية العربية من أشد أعدء إيران وغالباً ما استخدمت فكرة القومية العربية كسلاح فى مواجهة إيران والمثال على ذلك هو استخدام العراق للدعاية المعادية للفرس أثناء الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ – ١٩٨٨). والجدير بالقول مازال هناك العديد من العرب المعارضين كلية لأى دور مهيمن لإيران على المنطقة. ثانيا، إيران تعتبر دولة مسلمة شيعية بالدرجة الأولى، ونظامها الحكم شيعى. وهذا عكس أغلبية الدول العربية ذات الأغلبية السنية، والتى ترفض محاولات إيران نشر التشيع فى العالم العربى السنى.

الملف النووى الإيرانى والإرهاب والعرب

ويعترف الكاتب بأن الجانب الإيجابي، فى حال امتلاك إيران سلاحاً نوويا، أنه من غير المرجح أن تنقل سلاحا نوويا إلي جماعات إرهابية إلا في ظل ظروف بالغة التطرف. ومن المستبعد أن تأتمن إيران مثل هذه القدرة الحساسة لدى مجموعة إرهابية – فقد تقع أخطاء عديدة للغاية من نواحي عديدة للغاية.

وقد حاول الكاتب تكراراً ومراراً الربط بين الإرهاب والملف النووى الإيرانى، وأن امتلاك إيران قدرات نووية هو خطر ليس فقط على الولايات المتحدة وإسرائيل ولكن على العالم أجمع. فلا شك فى أن أزمة الملف النووى الإيرانى أنتجت تداعيات عديدة منها: أولاء، أن هذا الملف لم يعد يحظى بأهمية كبيرة بالنسبة للدول الأوروبية والولايات المتحدة وإسرائيل فحسب لكن الدول العربية، خاصة الخليجية منها، باتت هى الأخرى مهتمة تماماً به، حيث وضعته فى صدارة أولوياتها الخاصة بالسياسة الخارجية. وقد بدأ ذلك فى وقتاً مبكراً، ففى ديسمبر عام ٢٠٠٥، وإثناء انعقاد قمة التعاون الخليجى، أعرب البيان الختامى للقمة عن المخاوف من تأثيرات البرنامج النووى على الوضع البيئى فى منطقة الخليج، واحتمالات حدوث تلوث لمياه الخليج جراء الأنشطة النووية المستقبلية لمحطة بوشهر. وفى قمة الدوحة التى عقدت فى ديسمبر ٢٠٠٧ أعلنت هذه الدول عزمها البدء فى برنامجها النووى السلمى وهو ما يعد رداً عربياً خليجياً على البرنامج النووى الخاص بإيران.

ثانيا: من المنظور الخليجى، إن وصول الشيعة إلى الحكم، وكذلك تزايد مكانة الأكراد فى النظام السياسى العراقى الجديد، خرج العراق من معادلة التوازن العربى مع إيران ليصبح بمثابة دولة خاضعة للنفوذ الإيرانى. وفى رؤية دول مجلس التعاون الخليجى فإن العراق يجب أن يكون فى مواجهة إيران بشكل دائم، وليس إلى جوارها أو مؤيداً لها لأنه فى هذه الحالة لن تكون هناك أى قوة فى المنطقة قادرة على خلق التوازن فى مقابل التحالف الإيرانى العراق، خاصة بعد الثورة المصرية وتغيير النظام القديم بنظام حكم ذو مرجعية إسلامية لن يتورط فى حرب أو مناوشات ضد الجمهورية الإسلامية.

ثالثا، التمدد الإيرانى فى المنطقة الإقليمية، الذى تعتبره الدول العربية الخليجية تحولاً كاشفاً عن تزايد قدرة إيران فى المنطقة، والذى انعكس فى اعتقادها بأن هلالاً شيعياً فى طور التكوين يبدأ من لبنان وينتهى فى باكستان، وأن قيادة هذه الهلال توجد فى طهران.

رابعا: تتمتع إيران بعلاقات صداقة وروابط قوية مع فصائل المقاومة الفلسطينية خاصة حماس، ومن هنا فإن دور إيران فى قضية الصراع العربى الإسرائيلى قد شهد تصاعداً مهماً. مما أسفر عن تدعيم نفوذ إيران فى المنطقة وعمل دوماً لصالح القوى والجماعات المعارضة لمسيرة السلام مع إسرائيل.

خامسا: على الرغم من مخاوف الدول العربية من الصعود الإيرانى فى المنطقة، إلا أن مخاوفها من حدوث صدام عسكرى بين الولايات المتحدة وإيران أكبر بكثير، إلى درجة أنها تعتبر حدوث مثل هذا الصدام بمثابة الكارثة أو العمل الكارثى الذى يمكن أن يلحق بمنطقة الشرق الأوسط عامة ومنطقة الخليج بصفة خاصة.

القاعدة وإيران

هناك قول شائع يتكرر وروده فى أغلب المؤلفات عن الإرهاب مفاده: "أن الإرهابى فى نظر البعض هو محارب من أجل الحرية فى نظر الآخرين". وفى وقت من الأوقات- وليس بالماضى البعيد- كان معنى كلمة "إرهابى" واضحة لدى أغلب الناس، لأن الإرهابيين كانوا يعلنون عن أنفسهم وأهدافهم وعلى سبيل المثال فإن الفوضويين فى القرن الـ ١٩ كانوا يسمون فى خطواتهم التراث المستمد من الثورة الفرنسية، كما أن تروتسكى لم يكن يتورع عن الحديث عن مزايا الإرهاب الأحمر.

وعلى الرغم من أن الكاتب ذكر العديد من الأمثل، من وجهة نظره، تدلل على مساعدة إيران للقاعدة، إلا أنه عاد وأكد على أن هناك خلاف متصل بين الاثنين، وأن هناك زواج مصلحة بين طهران والقاعدة، وأن مساعدة إيران للقاعدة تتمثل فى مسألة المرور الآمن لأعضاء القاعدة إلى افغانستان .

ومن اللافت للنظر أن الكاتب قد أكد على أن علاقة إيران بالتنظيم ليست علاقة تحالف، وإنما مفاوضات غير مباشرة بهدف الإفراج عن العناصر المعتقلة من تنظيم القاعدة في إيران، ومن بينهم أفراد من أسرة بن لادن، وهي المفاوضات التي لم تخل من شد وجذب، بل وتهديدات واحتجاز رهائن من جانب القاعدة. كما أن الخلافات الأيديولوجية ما بين إيران والقاعدة، نتيجة لانتماء إيران للمذهب الشيعي وتبني القاعدة للمذهب السني، قد حالت دون تعميق وتطور العلاقة فيما بينهما، وهو ما أكده الكاتب من خلال عرض لبعض التصريحات الخاصة بقيادات تنظيم القاعدة، كالتصريح الصادر عن أيمن الظواهري في ٢٠٠٧ والذي انتقد فيه إيران بشدة لتعاونها مع الولايات المتحدة في غزو أفغانستان.

كما ذكر أحد أبرز قيادات تنظيم القاعدة في بيان له في مايو ٢٠٠٩ أن الحملات السياسية والإعلامية التي قادها تنظيم القاعدة ضد إيران، وحادثة اختطاف أحد المسئولين الإيرانيين في ٢٠٠٨ قد شكلت عنصر ضغط على إيران للإفراج عن قيادات القاعدة المعتقلين لديها. ويضاف إلى ذلك رغبة كلا الطرفين في الحفاظ علي سرية العلاقات فيما بينهما، وهو الأمر الذي يحول دون تطور العلاقة عن شكلها الحالي. فالقاعدة لا تريد أن تخسر الدعم السني لها بسبب علاقتها بإيران، وإيران لا ترغب في المزيد من التهميش على الساحة الدولية نتيجة لعلاقتها بالقاعدة.

ويرى الكاتب أن إيران دائما ما كانت قادرة على تجاوز الخلافات الأيديولوجية لتحقيق مصالحها بالتعاون مع تنظيمات سنية، أبرزها حماس وتنظيم القاعدة. هذا الدعم الإيراني لتنظيم القاعدة بدا واضحا في مساعدة إيران في تدريب بعض نشطاء التنظيم، وتسهيل مرور عناصر القاعدة إلى أفغانستان من خلال إيران قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر، والسماح لقادة التنظيم بالبقاء تحت إقامة جبرية شكلية في إيران، وهو ما رأته القاعدة ملاذا آمنا لها.

على الرغم من أن القاعدة وطالبان قد ظهراً ونميا فى باكستان وأفغانستان، إلا أنهما يعتبران نتاجاً لقراءة خاصة بشأن الإسلام الذى ترجع جذوره فى منطقة الجزيرة العربية وكذلك السواحل الجنوبية للخليج العربى.

كما أن العلاقة بين القاعدة وإيران مثلت أحد أهم الأسئلة الإشكالية فى سجل تنظيم القاعدة، فى ضوء عاملين: **الأول**، أن إيران لم تكن فى أى وقت مضى هدفاً للعمليات التى قام بها تنظيم القاعدة رغم الاختلاف المذهبى والأيديولوجى بين الطرفين، ورغم تعرض معظم الدول المجاورة لإيران خصوصا العراق وتركيا وباكستان وأفغانستان لمثل هذه العمليات. **والثانى**، أن قادة تنظيم القاعدة فى الخارج، لم يتطرقوا، حتى وقت قريب، لهذه الإشكالية فى خطاباتهم إلا من باب التلميح والإيحاء وليس من باب التصريح، بخلاف "تنظيم القاعدة فى بلاد الرافدين" الذى بادر قادته إلى النقد والإدانة وصولا إلى إعلان الحرب على "المشروع الصفوى" الذى تقوده إيران فى العراق، وفتح معركة طاحنة مع "روافض" العراق بدأت باغتيال محمد باقر الحكيم زعيم المجلس الأعلى للثورة الإسلامية (المجلس الأعلى الإسلامى لاحقا) فى ٢٩ أغسطس ٢٠٠٣.

والمفارقة الجديرة بالاهتمام فى هذا السياق هى أن معظم الأحداث التى شكلت منعطفا بارزا فى تاريخ الشرق الأوسط والعالم أجمع وقعت خلال فترة وجود الإصلاحيين بقيادة الرئيس السابق محمد خاتمى فى السلطة (١٩٩٧-٢٠٠٥)، بدءا من تفجيرات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وما تلاها من شن الحرب الأمريكية على الإرهاب التى بدأت بغزو أفغانستان عام ٢٠٠١، ثم العراق عام ٢٠٠٣. فى هذه الفترة بالتحديد، كان السؤال الأكثر أهمية هو: كيف تفاعلت إيران مع أحداث سبتمبر، وما هو موقفها من تنظيم القاعدة والعمليات التى يقوم بها، ومن الحرب الأمريكية على أفغانستان والعراق؟

هذا السؤال اكتسب وجاهة خاصة فى ضوء حالة التباين التى بدت واضحة فى مواقف القوى السياسية الإيرانية على اختلاف أطيافها تجاه هذه الأحداث. والملفت للانتباه أن هذا التباين لم يكن بين التيارين الإصلاحى والمحافظ فحسب، ولكن بين القوى المنتمية إليهما أيضا، لدرجة وصلت فى بعض الأحيان إلى حدوث مفارقات، حيث تبنت بعض القوى المنتمية لتيار واحد مواقف متناقضة، فيما تبنت

بعض القوى من التيارين مواقف متقاربة، بما يفسر جانبا من حالة السيولة فى أنماط التحالفات والائتلافات التى تتسم بها التفاعلات الجارية بين هذه القوى.

ففى داخل التيار الإصلاحى، برز اتجاهان مميزان: **الأول**، تزعمه "مجمع روحانيون مبارز" (مجمع رجال الدين المناضلين) الذى يرأس لجنته المركزية الرئيس السابق محمد خاتمى، وحزب "اعتماد ملى" (الثقة الوطنية) بزعامة مهدى كروبى رئيس مجلس الشورى السابق، وقام على إدانة العمليات التى نفذها تنظيم القاعدة، مع الحرص على عدم التورط فى الحرب ضد الإرهاب التى شنتها الولايات المتحدة لتصفية التنظيم. أما **الاتجاه الثانى**، فتزعمه حزب "جبهت مشاركت اسلامى" (جبهة المشاركة الإسلامية) بزعامة محمد رضا خاتمى شقيق الرئيس السابق محمد خاتمى، ومنظمة "سازمان مجاهدى انقلاب اسلامى" (منظمة مجاهدى الثورة الإسلامية)، وقد دعا هذا الاتجاه إلى دعم الولايات المتحدة فى حربها ضد الإرهاب وتنظيم القاعدة، لأن ذلك فى رؤيته هو السبيل الوحيد لتقليص حدة التوتر وتسوية الخلافات العالقة معها تمهيدا لإعادة العلاقات الدبلوماسية المقطوعة منذ قيام الثورة.

أما بالنسبة للتيار المحافظ فقد بدا الفرز جليا بين جناحين: **الأول**، هو الجناح التقليدى المتحالف مع طبقة التجار (البازار) والذى تمثله جمعية "روحانيت مبارز" (جمعية علماء الدين المناضلين)، وقد تبنى موقفا براجماتيا قام على ضرورة استخدام ورقة تنظيم القاعدة والتلويح بها فى مواجهة الضغوط الأمريكية المفروضة على إيران بسبب أزمة الملف النووى، مع عدم التورط فى إعلان دعم علنى للعمليات التى يقوم بها التنظيم حتى لا تستخدمها الولايات المتحدة كذريعة لإحكام الضغوط والعقوبات المفروضة على إيران. **والثانى**، هو الجناح الأصولى، الذى ينتمى إليه الرئيس محمود أحمدى نجاد، والذى انتهج موقفا متشددا قام على رفض ما يسمى بـ"الحرب الأمريكية ضد الإرهاب"، ومعارضة أى وجود عسكرى أمريكى فى المنطقة، والإشارة، على الأقل ضمنيا، إلى ضرورة دعم العمليات التى تنفذ ضد القوات والمصالح الأمريكية فى المنقطة، سواء كانت من جانب تنظيم القاعدة، أو من

جانب أى تنظيم آخر. هذا الموقف المتشدد الذى تبناه الأصوليون الذين يسيطرون الآن على مجلس الشورى (البرلمان) والحكومة، يعود إلى خلفيتهم الأيديولوجية والاجتماعية، فالأصوليون يمثلون تيارا اجتماعيا وليد الطبقة الفقيرة التى تشعر بالتمايز والفوارق الطبقية أمام الطبقة العليا التى ينتمى إليها كبار رجال الدين الذى يجمعون بين السلطة والثروة ويرتبطون بعلاقات قوية مع تجار "البازار". وقد انضم أغلب عناصر هذا التيار إلى القوات المسلحة والحرس الثورى وتنظيم "حزب الله" اليمينى المتشدد. وكان للظروف السياسية والاقتصادية القاسية التى تعرض لها هذا التيار تأثير مباشر على تبنيه نهجا متشددا فى التعاطى مع قضايا الداخل مثل الديمقراطية والحريات العامة، وقضايا الخارج مثل أزمة الملف النووى والعلاقات مع الولايات المتحدة.

هذه المواقف المتباينة التى تبنتها القوى السياسية الإيرانية كان لها تداعيات مباشرة على صياغة السياسة الرسمية الإيرانية من تنظيم القاعدة ومن الحرب الأمريكية على الإرهاب، خصوصا أن معظم هذه القوى، سواء الإصلاحية أو المحافظة، كانت تسهم فى عملية اتخاذ القرار، بشكل جعل هذه السياسة تبدو مترددة بل ومتناقضة فى أحيان كثيرة.

توصيات سياسية تؤدى إلى حرب

الجدير بالقول أن المؤلف قدم مجموعة من التوصيات السياسية التى أقل ما يقال عنها بإنها ستؤدى إلى حرب بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران. ويمكن القول أن هناك عدة ملاحظات على التوصيات التى تقدم بها إلى الإدارة الأمريكية، كما يلي:

أولا، أوصى الكاتب على أن أول خطوة أمريكية هي توسيع الجهود مع حلفائها لمحاربة الإرهاب الذي تدعمه إيران، بما في ذلك حزب الله. فيلاحظ أن هناك إصرار من الكاتب على الربط بين إيران وحزب الله والقاعدة على الرغم من اعترافه بالاختلاف العقائدى الدينى بينهم، وهذا يعد تناقضاً علمياً واضحاً. كما يريد الكاتب

أيضا أن تتسع حملة الاستخبارات والشرطة ضد حزب الله وإيران، مما يؤدي إلي مزيد من التحقيقات والاعتقالات مما يجعل من الأصعب على حزب الله وعلى المسئولين الإيرانيين إدارة هجمات ناجحة. ونستطيع هنا القول بأن الهجمات والتحقيقات والاعتقالات على أعضاء إيران وحزب الله، ربما تأتى بنتائج عكسية فى المنطقة، حيث إنها ستزيد من التعاطف الرسمي والشعبى فى المنطقة معهما. وهذا سيؤثر ذلك أيضاً المصالح الأمريكية فى المنطقة، خاصة وأن هناك جاليات إيرانية وشيعية منتشرة فى ربوع العالم العربى والإسلامى، وهذا سيشجع على المزيد من استهداف مصالح الولايات المتحدة تحت مسميات وشعارات إسلامية كثيرة، منها الجهاد فى سبيل الله، ونصرة الأخوة المجاهدين..الخ، وستجدى مثل هذه الدعوات صدى كبير فى صفوف المسلمين سواء أكانوا سنة أو شيعة.

ثانيا، ذهب المؤلف إلى أن التحدي صعب على الولايات المتحدة لإنها لا تملك سوى وسائل إضافية قليلة للضغط يمكن أن تستخدمها بصورة مباشرة ضد إيران لأنها تستخدم بالفعل معظم هذه الوسائل لوقف البرامج النووية الإيرانية. وبذلك يغفل الكاتب -متعمداً- استمرار استخدام الجهود الدبلوماسية الدولية، ومحاولة مساعدة إيران لامتلاك برنامج نووى للأغراض السلمية فقط، وليس التخلص النهائى من برنامجه النووى مجاملة لإسرائيل.

ثالثا، أما فيما ذكره الكاتب حول ضرورة وضع الولايات المتحدة "خطوطا حمراء" واضحة فيما يتعلق بالإرهاب، ومحاولة قطع الصلات بين إيران والقاعدة، باستخدام ضربات عسكرية محدودة، وهي ضربات فشلت ضد جماعات إرهابية أو منظمات من أشباه دول مثل طالبان في أفغانستان، فرصة أكبر للنجاح ضد دول مثل إيران التي تملك جيشاً حقيقياً وبنية تحتية اقتصادية. فيمكن القول بأن الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها يستطيعوا الضغط على النظام الإيرانى لإجراء إصلاحات داخلية ونبذ العنف والإرهاب من خلال فتح قنوات مباشرة مع المعارضة الإيرانية الإصلاحية. فالراهن الوحيد فى المنطقة حالياً هو على الشعوب التى اثبتت بعد تجربة ثورات الربيع العربى بغنها الوحيد القادرة على التغيير وليست القوة العسكرية، لإنه

ربما يتوحد جميع الإيرانيين ضد أية هجمات على بلادهما، ومن ثم ستصبح المنطقة كلها فى حالة حرب على الولايات المتحدة، خاصة بعد وصول جماعات إسلامية إلى سدة الحكم فى الكثير من البلدان العربية.

رابعا، أكد الكاتب أنه من المرغوب فيه أن يسقط نظام الأسد في سوريا، وسيؤدي ذلك إلي تقليص النفوذ الإيراني، لكنه لن يغير بشكل دراماتيكي من تأييد طهران للإرهاب وقد يزيد حتى من اعتماد إيران على جماعات إرهابية. وفى هذه التوصية لم يقدم الكاتب جديد، حيث أن كل المؤشرات تؤكد على سيطرة الإسلاميين على سوريا فى حالة إسقاط النظام، وبالتأكيد سيكون بينهم وبين إيران تعاون جديد من أجل إعادة البناء فى سوريا، ومن أجل تحرير الجولان المحتلة.

ملاحظات ختامية

وفي الختام، نشير إلى مجموعة من الملاحظات بشأن الدراسة، نلخصها في الآتي:

أولا: يلاحظ من العرض السابق أن الكاتب يتبنى الرؤية الأمريكية فيما يتعلق بتوصيف بعض الجماعات التي تدعمها إيران بالإرهابية. فإن كان هناك إجماع دولى على وصف القاعدة بالتنظيم الإرهابى، فإن هذا الإجماع لا يتوافر بشأن الجماعات الأخرى التي ذكرها الكاتب كحماس، وحزب الله والذى رفض الاتحاد الأوروبى إدراجه على قائمة الجماعات الإرهابية. أيضاً فمن غير المقبول أو المعقول وصف حركات المقاومة بالإرهاب، وأن تلقت هذه الحركات دعماً مالياً من نظام أو أنظمة مختلفة عقائدياً معها.

ثانيا: يضاف إلى ما ذكره الكاتب من اختلافات متكررة ما بين إيران والقاعدة، ذلك الخلاف الذي تشير إليه العديد من التحليلات بشأن القضية السورية، في ضوء مساندة إيران لموقف النظام السوري، ونشاط القاعدة المتزايد في سوريا، خاصة مع دعوة أيمن الظواهري للسوريين والمسلحين الموجودين في الدول المجاورة لسوريا لرفع السلاح لنصرة القضية السورية ضد نظام الأسد، وذلك فضلا

عن نشاط جماعة "جبهة النصرة" الجهادية داخل سوريا، والشكوك التي تحيط بها بشأن حصولها على دعم وتوجيهات من القاعدة.

ثالثا: بالنظر إلى طبيعة العلاقة ما بين إيران والقاعدة، وفقا لما ورد في الدراسة، توصل الكاتب إلى أن العلاقة متذبذبة ما بين التعاون والصدام، وأن استراتيجية إيران تجاه القاعدة تتسم بالبرجماتية، وأن دعمها يكون مشروطاً بتحقيق مصالحها وبعلاقتها مع أطراف أخرى، أبرزها الولايات المتحدة. وهو ما يؤكد على أن هذا الاستنتاج ينزع نحو وصف "التحالف" عن العلاقة ما بين إيران والقاعدة. إذ إن التعاون بينهما يظهر في قضايا، ويتحول إلى صدام فى أخرى، ووتيرة الخلافات تتساوى مع أوجه التعاون، مما يتعارض مع جوهر "التحالف"، الذي يتطلب حدا أدنى من الاستمرارية فى التعاون، ويستند في جوهره على الاتفاق، وهو ما يغيب جزئيا في علاقة إيران بالقاعدة، وبالتالى العلاقة بصورتها الحالية لا ترقى إلى أن تكون تحالفا.

وخلاصة القول، مع اختلافنا الكلى، مع ما يقوم به النظام الإيرانى من تدخلات فى الشئون الخارجية للدول المجاورة، إلا إننا نؤكد على أن أية محاولة لضرب إيران ستكون جميع الدول العربية خاسرة فيها. ولا يمكن النظر إلى الموقف الأمريكى من إيران بمعزل عن موقف إسرائيل وإلحاحها الدائم على ضرورة عدم امتلاك إيران أية قدرات نووية، لأنها تعلم تمام مدى خطورة ذلك عليها.

العدد ٩٤ - السنة الثامنة
أكتوبر ٢٠١٢

رقم الإيداع : ١٢٥٠١ لسنة ٢٠٠٤



المركز الدولى للدراسات المستقبلية والإستراتيجية

١٤٣ شارع الشويفات - التجمع الخامس - القاهرة الجديدة
تليفون : ٦١٧٥٥٥٠ - فاكس : ٦١٧٥٥٥٣
بريد اليكترونى : info@icfsthinktank.org
www.icfsthinktank.org